

# واقع الاديان ومستقبل الإسلام

## دراسة استشرافية


إعداد الدكتور

**حسن محمد الأسمري**

أستاذ مشارك قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

كلية الشريعة وأصول الدين – جامعة الملك خالد

المملكة العربية السعودي







مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية







بسم الله الرحمن الرحيم



## ملخص البحث

يتناول البحث دراسة موضوعات علم الأديان من خلال واقع الأديان اليوم، وفق محدد الوعي الذي يختلف عن محدد الوصف في الدراسات الوضعية والتاريخية، والنظر لعلم الأديان من منظور الوعي يوصلنا لموضوعات مخصوصة، من مثل: التحديات والمخاطر والفرص، ويعيد تشكيل موضوعات هذا العلم وفقها، فما المقصود بالتدين والدين؟ وما مكونات الدين؟ وما واقع الأديان اليوم؟ وما أهم التحديات التي تواجهها الأديان اليوم؟ وكيف تكون العلاقة بين الأديان؟ وما مستقبل الإسلام في هذا العالم الديني؟

**الكلمات المفتاحية**: علم الأديان، مقارنة الأديان، التحديات التي تواجه الأديان، العلمانية، الإلحاد، الغلو، التقريب، مستقبل الإسلام، فوبيا الإسلام.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية




# The Reality of Religions and the Future of Islam: A Futuristic Study

Hassan Muhammad Al-Asmari, Associate Professor, Department of Islamic Creed and its Contemporary Schools, College of Shariah and Fundamentals of Religion, King Khalid University, Kingdom of Saudi Arabia

h.m.a@hotmail.com




**Abstract**

This research paper tackles topics related to religious studies through the reality of religions in the present time according to the cognitive parameter, which is different from the descriptive parameter of history and the positivist studies. Looking at religious studies from a cognitive point of view leads us to special topics such as *challenges*, *threats*, and *chances*, and accordingly reframes the topics of these studies. Hence the question: What is meant by *religion* and *being religious*? What are the components of religion? What is the reality of religion today? What are the most important challenges that face religions today? What is the nature of the relationship among religions? And what is the future of Islam in this religious world?

*Key words*: reality of religion – future of Islam – futuristic study- being religious – components of religion



## المقدمـــة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:




فقد بلغت دراسة الأديان مبلغًا عظيمًا من السعة، وأصبحت مادة أساسية في أقسام الكليات المتخصصة في الدراسات الإسلامية وأصول الدين وغيرها؛ فهناك في العادة مدخل لدراسة الأديان، ودراسة للأديان الكتابية: اليهودية والنصرانية، والأديان الوضعية: الهندوسية والبوذية وأمثالها، ومقارنة الأديان، وعلم الأديان؛ وازداد عدد المتخصصين في هذا المجال الحاملين للدرجات العليا في علم الأديان.

ويبدو لنا بصورة جلية أن أغلب الدراسات في هذا المجال تميل إلى الجانب الوصفي والمقارن والتاريخي، والنقد المجمل لها[1]، ويكفينا دليلًا على ذلك استعراض الكتب المؤلفة عن الأديان في واقعنا الحديث، فسنجد هذه السمة هي الغالبة عليها. وهذه المرحلة وإن كانت ضرورية؛ فإنها غير كافية، وذلك أن ثمة غاية أسمى للمسلمين؛ وهي الدعوة للإسلام، وإبطال ما يواجهه، وهذا يدفعنا إلى توضيح المنطلق الذي سننطلق منه في معالجة هذه المسألة؛ فبم يختلف منطلقنا عن منطلق الدراسات الوضعية؟

إن أكثر ما يعاب على الدراسات الوضعية أن أصحابها أغرقوا الساحة بدراسات علم الأديان وفق منهجيات متنوعة، ولهم في ذلك غاياتهم التي يعلنونها أو يبطنونها، بينما نحن غايتنا واحدة، وهي أن يكون الدين كله لله؛ أن يدخل الناس في الإسلام.

(١) حول مناهج الباحثين في دراسة الأديان، ذكر منها د. سمك سبعة مناهج، ينظر: مدخل دراسة الأديان، ص٣٣٧.



ونحن على قناعة تامة بأن ديننا هو الحق، وهو الخاتم، وهو الذي يجب على جميع الخلق اعتناقه، وإن أراد المخالف منا الحجة على ذلك: أقمنا له الحجة بأجمل الطرق وأحسنها، وبها يحقق له الفهم ويقطع الاعتراض، ثم من أبى فهو الظالم لنفسه، وليس هذا الباب ما يعنينا هنا، في باب الوعي بعالم الأديان، وإنما الذي يهمنا: هو ما يعد في صلب قناعتنا وإيماننا، وما يجب علينا: فنحن نؤمن أن هذا الدين من نعم الله علينا التي لا فوقها نعمة من النعم، وحملنا أمانة إقامته في ذواتنا أولًا؛ لننعم به، ومن ثم نجهد من أجل إيصاله لغيرنا، فنحن عندما نهتم بعلم الأديان؛ فإنما نهدف تحقيق هذا المقصد العظيم.




ومن ثم كان مطلب الوعي بعالم الأديان عند المسلمين يختلف عن مطلب التخصص العلمي البارد والمجرد من الهم الدعوي، وبخاصة إذا انحبس المتخصص في المنهج الوضعي؛ الوصفي والتاريخي والمقارن مع عموميات نقدية؛ فمطلب الوعي يتركز على ثلاثة أمور: الفرص، التحديات، المخاطر.

فأما الفرص، فهي نافذة تتضح لنا عند دراسة الأديان عن مواضع العمل المناسبة للدعاة، كيف يوصلون الإسلام لأهل هذه الأديان؟ فلا بد أن تنفتح لهم من جراء دراستهم للأديان وأهلها فرص يمكنهم استثمارها لإيصال نور الإسلام إليهم، ومن ذلك ما يجدونه من مشكلات عميقة داخل تلك الأديان الضالة ولا يعرفون المخرج ولا معرفة لديهم تمكنهم من الخروج من تلك المشكلات، فينبري المسلمون لتقديم جواب الإسلام لهم.

وأما التحديات: فهي العقبات التي تقف أمام الإسلام بسبب هذه الأديان، وينتج عن كل دين عقبات، وهي أشبه بالأغطية التي توضع على أعين أهلها، فلا يرون نور الإسلام، ولن ننجح في التعامل معها إلا بمعرفتها معرفة جيدة، فنضع ما يعين على تجاوزها.



وأخيرًا المخاطر؛ وهي تلك التي قد تصيب الإسلام والمسلمين بالضرر من هذه الأديان وأهلها، وهي أشد ما تكون في زمننا هذا؛ زمن العولمة الإعلامية والثقافية، وقدرة أهل هذه الأديان في استثمار هذه الإمكانيات المتاحة في العولمة عالية جدًّا، لدرجة أنها كان من نتاجها ارتداد بعض المسلمين أو تقليدهم الكفار في ضلالاتهم.



هناك غايات للوعي تختلف عن غايات البحث العلمي، وأهم هذه الاختلافات أن الوعي يطلب للعمل: فرص تُستثمر، أو تحديات وكيف نتجاوزها، أو مخاطر وكيف نتوقاها ونحمي أنفسنا منها؛ وهو في الحقيقة بحث علمي وزيادة، فلن يتحقق إلا بمعرفة علمية وصفية ومقارنة وتاريخية، وهو بحاجة لنقد عملي، فهو نقد يركز على ما يفيدنا الآن في إنجاز أهدافنا؛ وهو نشاط دعوي يحرك صاحبه نحو التفكير بطرق إبداعية تجعل نور الله يدخل قلوبهم وينعش أرواحهم.

وعلى الرغم من كون مطلب الوعي هو الموجه لمسار البحث هنا؛ فإنني لست مع تهوين البحث العلمي الوصفي والتاريخي والمقارن، أو غير ذلك من المناهج، بل ينبغي أن يستمر مع تعزيزه بأدوات جديدة وأهداف تتناسب مع عصرنا، إلا أنه ينبغي عدم الاستسلام للمناهج الوضعية الغربية في دراسات الأديان، وأن يكون للمسلمين بصمتهم العصرية الخاصة، وبخاصة أن تأسيس هذه العلم قد بدأ مع المسلمين وبأثر من نصوص الوحي.

إشكالية البحث: تكمن إشكالية البحث في هذا المطلب في الإجابة عن تساؤل مهم؛ وهو: لماذا ندرس الأديان؟ ومع أن الجواب الإسلامي المعاصر واضح، ويكاد يرتبط بكلمة واحدة، هي: "الوعي"، ولكن عند الدخول للإجابات السائدة في الساحة نجدها تذهب للعرض والوصف لهذه الأديان، وفق منهجيات متعددة، أشهرها: التاريخي والمقارن والوصفي، مع تطبيقات نقدية يسيرة، وتغيب أهداف الوعي الكبرى.



وليس هذا تقليلًا من شأنها، فهي من الأهمية بمكان، ولكن لا بد أن تُكمل بأجوبة الوعي الكبرى، ومن ثم تحاول هذه الدراسة تناول موضوع علم الأديان؛ ولكن من زاوية مطلب الوعي.





**منهج الدراسة**: تعتمد هذه الدراسة على أدوات منهجية مستوحاة من المنهج التحليلي والنقدي والتركيبي؛ بحيث تكون البداية بتحليل هذا المجال الواسع المرتبط بعلم الأديان إلى المكونات المهمة، ثم نستخدم أدوات النقد في دراسة هذه المكونات، بعدها تأتي مهمة التركيب، فتوضع الرؤى للمستقبل.

**أما الدراسات السابقة**، فهناك دراسات كثيرة حول علم الأديان ومقارنة الأديان؛ فضلاً عن دراسات لأديان قديمة أو حية، ولكنها لم تعالج الإشكالية التي جاءت هذه الدراسة من أجلها، أو يأتي الحديث عنها مُقتضبًا في المقدمات والخواتيم، والدراسة التي قامت ببعض التوسع هي دراسة "فلسفة الدين" لأديب صعب، ولكن يعيبها منهج صاحبها الفلسفي وميله النصراني؛ مما جعلها تتجه نحو غاياته، وليس وفق غايات البحث العلمي، أو كتاب د. أبو يعرب المرزوقي "فلسفة الدين من منظور إسلامي"، وهو يلامس همومًا ذات شأن، ولكنها غائرة في صياغات فلسفية لا نقلل من منزلتها، ولكنها ليست غاية هذه الدراسة.

**بحسب هذه الغاية توجهت موضوعات الدراسة**، فجاءت على النحو الآتي:





المبحث الثالث: الأديان الحية.

المبحث الرابع: تحديات في واقع الأديان والموقف الإسلامي منها.

المبحث الخامس: جدل العلاقة بين الأديان.

المبحث السادس: الدين عندما يدرسه غير أهله.

المبحث السابع: الإسلام مفكرًا فيه.

المبحث الثامن: المستقبل للإسلام.

الخاتمة، والمراجع، الفهرس.

## تمهيد: الانتماءات الثلاثة: الدين – الفرقة – المذهب

يُقصَدُ بالانتماء هنا معناه اللغوي؛ أي: الانتساب، ومنه: «انتسب الرجل إلى أبيه أو إلى قبيلته»[1]، وننقل هذا المعنى إلى الانتساب العقدي والفكري، لمن ينتسب لدينٍ أو فرقة أو مذهب، وكما ينتسب الإنسان لأبيه أو لعائلته أو لقبيلته، فكذلك ينتسب لدين أو فرقة داخل أحد الأديان أو لمذهبٍ فكري.



ترجع الانتماءات العقدية والفكرية لثلاث دوائر، وهي: الأديان، والفرق الدينية، والمذاهب الفكرية.

وتعد الأديان بفرقها أكثر حضورًا في التاريخ وفي الواقع، ويوجد اليوم إلى جانبها عالم آخر، يتداخل معها كثيرًا ويتعارض معها أحيانًا، وهو عالم الأفكار غير الدينية، وإن كانت قد تتخذ الشكل الديني في قوة الالتزام بها أو وجوبه، ويطلق عليها الأيدلوجيات أو المذاهب الفكرية.

ومجال الاهتمام هنا هو الأديان، ولكن يصعب في باب الوعي أخذها دون الانتباه لما خرج منها من الفرق، أو ما يشابه الفرق، ويعارضها في نفس الوقت من المذاهب الفكرية، فهذه الثلاثة: الأديان، والفرق، والمذاهب الفكرية، ذات أهمية في انتماءات البشر اليوم، ولا يمكن إيجاد دراسة جيدة إذا سلطت الضوء على طرف واحد وأهملت الطرفين الآخَرينِ.

الأديان: حيث هي اليوم الدائرة الأوسع كما أنها الأعمق في التاريخ، فمليارات البشر ينتمون للأديان، فمنهم من ينتمي لدين الحق الإسلام، ومنهم من ينتمي لأديان الباطل، بداية بالأديان الكتابية: اليهودية والنصرانية، ثم الوضعية: الهندوسية والبوذية وغيرها. وستكون هذه الدائرة هي مجال اهتمام هذه الدراسة.

---

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٥/ ٣٤١.

الفِرَق: ما من دين إلا وخرج عنه فرق[1]، فيكون للمتدين الواحد انتماء عام وآخر خاص، وهناك اليوم فِرَق كبيرة مشهورة في أغلب الأديان، من مثل: القبالاه في اليهودية، والكاثوليك في النصرانية، والشيعة في الإسلام؛ وهكذا.



والفرق وإن لم تكن موضع الاهتمام في هذه الدراسة، ولكن لا يمكن إغفالها أثناء دراسة الأديان، فالأديان لا تقوم إلا بالفرق التي تمثلها.

الأفكار (الأيدلوجيات): هناك أفكار تنطلق من الأديان، فتأخذ حكم الفرق، وهناك أفكار تنطلق من ميدان الفكر والفلسفة، وقد قامت عليها أيدولوجيات كبرى، أرادت منافسة الدين وفرقه، ويسميهم الشهرستاني (المستبدون بالرأي مطلقًا، هم المنكرون للنبوات، مثل الفلاسفة والصابئة والبراهمة، وهم لا يقولون بشرائع وأحكام أمرية، بل يضعون حدودًا عقلية حتى يمكنهم التعايش عليها)[2]. وهم المقصود هنا، أي: الذين أتوا بأفكار سار عليها طائفة من البشر، منفصلة عن الوحي والدين، وقد اشتهرت عملية الفصل هذه بمسمى العلمانية؛ القيام بصناعة نظام من التصورات والأفكار التي يعيش الناس بها دون أن تستند للدين أو للوحي، من مثل: الإنسانية الملحدة، العقلانية المجردة، الماركسية، الاشتراكية، الرأسمالية، الديمقراطية، وهكذا، مع العلم أن بعض هذه المفاهيم قد تحوي أشياء صحيحة، وبعضها قد يتحسن إذا تم إعادة تأسيسه وفق مقتضيات الدين الإسلامي، وعليه فالمراد هنا -فقط- تلك الأفكار المبنية وفق الرؤية العلمانية التي تمنع اتصال المذهبِ بالدين.

الانتماءات الثلاثة في عالم العولمة:

---

(١) هناك تأملات حول هذه الظاهرة وتصنيفها، ومن ذلك تصنيف بريان ولسون لسبعة أصناف: الإرشادية والثورية والتقوية والإشفائية والإعجازية والإصلاحية والطوباوية، علم الأديان، ميشال، ص١٣٨.

(٢) الملل والنحل، ١/ ٣٦.



تُمثِّل العولمة نقطة فاصلة ومهمة في جوانب كثيرة من حياة البشر، ومنها الانتماءات الثلاثة: الأديان، والفرق، والمذاهب، فلم يكن هذا التنوع الكبير في الانتماءات ذا شأن قبل قرنين من الزمان، حيث كانت وسائل المواصلات والاتصالات في صورتها التقليدية، إلا أنه مع التطور الكبير فيهما- أي: المواصلات والاتصالات- تهدمت العوازل بين تلك الانتماءات المختلفة، واختلط بعضها ببعض.




تتعدد الأديان الموجودة في الوقت الحالي؛ فهناك أولًا الأديان المليارية: النصرانية والإسلام، والهندوسية والكنفشيوسية؛ فضلًا عن الأديان التي تصل لنصف مليار، وهناك الأديان العرقية أو الوطنية: كاليهودية أو الشنتوية، وهناك الأديان الجديدة: كالسيخية والبهائية، وغيرها من الأديان؛ وحضورها الكبير لم يعد محصورًا بمجالها وأتباعها، بل إنها بدأت تزحف لتشمل مساحات شاسعة من بيئات الأفكار، ومن النماذج لذلك ما وقع بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، الذي كان له تاريخ أسود مع الدين، فقد قام بعد نجاح الثورة البلشفية بمحاولة طمس الدين والتدين بقسوة من مظاهر الحياة العامة والخاصة، وقام بنشر الإلحاد، ثم بعد سقوطه عاد الدين بحماس وقوة، وبدأ يدخل مجال الحياة العامة من جديد(١).

---

(١) معلوم أن "لينين" تعامل بقسوة مع الكنيسة ومع بقية الأديان، ولكن "ستالين" في صراعه مع ألمانيا وجد الحاجة لدعم الكنيسة، مع أنه ملحد، فطلب الدعم من الكنيسة وأعطاها مساحة محددة لرفع معنويات الجنود، واستمر الوضع بعد ذلك في منحها مساحة نسبية، حتى سقط الاتحاد السوفيتي، وظهرت قيادات سياسية مكيافيلية، تستغل سلطة الكنيسة وتستعين بها في تحقيق مكاسب انتخابية وسياسية، ولكن هناك قوانين جديدة تسمح نسبيًّا لغير النصارى بإقامة شعائرهم مع التضييق، ويمكن البحث في الشبكة تحت عنوان: عودة الدين إلى المجال العام في الغرب، عودة الدين في الغرب، جدل السياسة والكنيسة في روسيا.

وهذه العودة للأديان إنما تأتي من خلال فرقها المشهورة؛ القديمة والجديدة، وتختلف الفرق في المنابع التي تستمد منها أصولها، وفي قوتها ودرجة انتشارها.

ومع ما استجد في العصر الحديث من مذاهب فكرية فإن الأديان وفرقها تجد نفسها في صراع أو حوار مع هذه المذاهب، فقد استجد على الناس في القرون الأخيرة مذاهب غربية أثرت في العالم، وأصبح لها أتباع في كل مكان، منهم من انفصل عن الدين وفرقه، ومنهم من يريد الجمع بين دينه وبين مذهبه الفكري.



وقد كانت تلك الانتماءات الثلاثة تعمل ببطء، وتكاد تكون منفصلة عن بعضها، حتى جاءت ثورة المواصلات والاتصالات، ووقع التشابك الرهيب بين كل هذه الانتماءات، في ظاهرة كونية يمكن أن نطلق عليها ظاهرة العولمة الفكرية، وأصبحنا أمام تحديات كبرى تفرضها هذه الانتماءات في ظل العولمة، فأي طفل- فضلًا عن من هو أكبر منه، ومن خلال شاشته الصغيرة- يستطيع بلمسة واحدة أن يستدعي أشكالًا من الأديان أو الفرق أو المذاهب والتيارات، تتشكل في رسومات وأفلام ومقاطع ورسائل، وقد يأتيك هذا الطفل بحركة تنتمي لديانة، أو يردد كلمة تقولها فرقة في طقوسها، أو يرسم شكلًا لأحد المذاهب، وهو يجمع كل هذه الأمور دون أن يشعر بالفوارق بينها، وهي تشكله دون أن يشعر بها، وأمام هذا التحدي الكبير: ما الذي ينبغي العناية به في مجال الوعي حول عالم الأديان في فضاء هذه العولمة؟

للجواب عن هذا السؤال، سيكون البحث حول الأديان، وبيان ما تثيره هذه الأديان من تحديات للمسلم المعاصر، وسبل الوعي المطلوبة للتعامل معها.



عناصر الوعي بالأديان: هناك مجموعة مهمة من الموضوعات المرتبطة بالدين بحاجة للوعي الفكري، أذكر عدداً منها، ثم أقف مع ما أراه من وجهة نظري مهمًّا منها، فهذه مجموعة أسئلة تحدد مهامَّ الوعي الفكري في مجال الانتماء للدين، ومن أهمها:




ما الدين؟ ما مكونات الدين التي بفقدها يفقد الدين حقيقته؟ ما تاريخ الدين الحق مع الأنبياء والرسل؟ ما علاقة الدين بغيره من المجالات الإنسانية: الفلسفة والعلم والفن والمجتمع والسياسة والاقتصاد وغيرها؟ الدين والعقل؟ الدين والفرق الدينية؟ الدين والبدعة؟ ما أهم الأديان في التاريخ الإنساني التي كانت ذا ثقل في الماضي واستمر ذلك في الحاضر؟ ما أشهر الأديان اليوم؟ ما أشهر الأديان انتشارًا وتوسعًا اليوم؟ ما جغرافية الأديان اليوم؟ كيف تنتشر الأديان اليوم؟ كيف تواجه الأديان مشكلة العصر: مشكلة الإلحاد ومشكلة الأخلاق المنفصلة عن الدين؟ ومشكلة العلمانية؟ ما حقيقة الشخص المتدين؟ ما علاقة الأديان بالغلو والتطرف والإرهاب؟ هل العلمانية خالية من الغلو والتطرف والإرهاب؟ ما علاقة الدين بالتسامح وحرية الاعتقاد؟ وبخصوص دين الإسلام وأهله: كيف تتعامل هذه الأديان مع الإسلام؟ كيف يتعامل المسلمون مع هذه الأديان؟ كيف يجيب المسلمون عن كل ما سبق؟

ماذا تفيد هذه الأسئلة مسلم اليوم في مجال الوعي الفكري؟

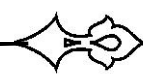
تفيد الإجابة عن هذه الأسئلة المسلم بأن:

- يعرف ما حوله من الأديان وما يفيده في دينه ودنياه؛ وبخاصة تلك التي تحدَّث عنها القرآن ولها أثر في الواقع.
- يعرف القضايا الدينية الكبرى.
- يعرف مسؤوليته تجاه دينه الإسلام: دعوة ودفاعًا وتعظيمًا.
- يعرف المخاطر المحيطة بدينه، وينتبه لئلَّا يكون سببًا في ضعف الإسلام.



وعناصر الوعي الفكري بعالم الأديان يمكن عرضها في فقرات، هي في ظني أهم أولويات الوعي الفكري في هذا الجانب العظيم، وهي:

- مفهوم الانتماء للدين ومكانته.
- نموذج مكونات الدين، والأديان الحية اليوم.
- التحدي الديني لعامة البشر والميل للمحسوس (الشرك).
- التحديات الأربعة للنخب، هي: ظاهرة الإلحاد الجديد، والعلمانية، والغلو في الدين، وتمييع الدين.
- العلاقة بين الأديان (جدل العلاقة)، ونموذج الحوار والدعوة.
- شبهات دون حدود وشيطنة الإسلام.
- الإسلام مفكرًا فيه (جاذبية الإسلام).
- مستقبل الإسلام.





## المبحث الأول

## مفهوم الانتماء للدين ومكانته

لا يعيش إنسان دون انتماء عقدي، فالإنسان كائن متدين[1]، فكما يولد بروح وجسد وعقل، فهو يولد على الفطرة[2]، والفطرة هي جبلة في الإنسان تجعله مائلًا للحق ومحبًّا للإسلام؛ قال الإمام ابن عبد البر: (قالت جماعة من أهل الفقه والنظر: أُرِيدَ بالفطرة المذكورة في هذا الحديث الخلقة التي خلق عليها المولود في المعرفة بربه، فكأنه قال: كل مولود يولد على خلقة يعرف بها ربه؛ إذا بلغ مبلغ المعرفة)[3]، ورجح هذا القول فقال: (هذا القول أصح ما قيل في معنى الفطرة التي يولد الناس عليها، والله أعلم؛ وذلك أن الفطرة: السلامة والاستقامة)[4]؛ والإسلام هو دين الله، وكما أن دين الإسلام هو أمر الله فالإنسان بفطرته هو مِن خَلْق الله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فلا حياة للفطرة إلا باتصالها بالدين الحق، فقد جعل الله هذا الدين أساسًا لإقامة كيان الإنسان، والمتفق مع فطرته وعقله وروحه وجسده؛ فالإنسان يولد في الدين ومع الدين، ولن تقوم حياته بعد ذلك إلا بالدين الحق؛ دين الإسلام.

---

(١) ينظر: الغيب والعقل، إلياس بلكا، ص١٢١؛ علم الغيب بين الوحي والقلب، د. يحي مراد، ص١٦٨؛ دين الإنسان، فراس السوح، ص١٩.

(٢) ينظر: الإسلام والفطرة، محمد زكي قاسم؛ مفهوم الفطرة بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي، عبد الله البيشي؛ وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، د. محمد الزحيلي، ص٣٢؛ الفطرة والعقيدة الإسلامية، حافظ الجعبري؛ وينظر: شرح الإمام ابن عبد البر لشرح حديث "كل مولود يولد على الفطرة"، ١٨/ ٥٧ وما بعدها، ففيه فوائد مهمة .

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ١٨/ ٦٨.

(٤) المرجع السابق، ١٨/ ٧٠؛ وأخذ به الإمام القرطبي في تفسيره، ١٤/ ٢٩؛ وينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية، ٤/ ٢٤٥.



وكما أن الارتباط بالدين هو أعظم نعمة فقد يكون أيضًا أكبر خسارة؛ فهو أعظم نعمة عندما يكون هذا الدين هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده، دين الإسلام؛ قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٣١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣١]، قال الإمام الطبري رحمه الله: (يعني تعالى ذكره بذلك: واذكروا نعمة الله عليكم بالإسلام، الذي أنعم عليكم به فهداكم له، وسائر نعمه التي خصكم بها دون غيركم من سائر خلقه، فاشكروه على ذلك بطاعته فيما أمركم به ونهاكم عنه. واذكروا أيضًا مع ذلك ما أنزل عليكم من كتابه؛ وذلك: القرآن الذي أنزله على نبيه محمد صلي الله عليه وسلم. واذكروا ذلك فاعملوا به، واحفظوا حدوده فيه. و"الحكمة"، يعني: وما أنزل عليكم من الحكمة، وهي السنن التي علَّمَكُموها رسول الله صلي الله عليه وسلم وسنَّها لكم)[1].

وكذلك يكون أكبر خسارة عندما يذهب الناس إلى أديان الباطل؛ قال تعالى: ﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٥]، قال القرطبي رحمه الله: (فيه دلالة على أن من الناس من يعمل العمل وهو يظن أنه محسن وقد حبط سعيه، والذي يوجب إحباط السعي إما فساد الاعتقاد أو المراءاة، والمراد هنا: الكفر)[2].

والحديث هنا هو عن أعظم انتماء إنساني، وهو الانتماء الديني، فهو انتماء يتحدد به مصير الإنسان الأبدي، وهو انتماء مبني على تحمُّل الأمانة المهولة التي عجزت عنها السماوات

---

(١) تفسير الطبري، ٥/ ١٥.

(٢) تفسير القرطبي، ١١/ ٦٥.

والأرض، قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، قال الرازي: (لما أرشد الله المؤمنين إلى مكارم الأخلاق، وأدَّب النبي عليه السلام بأحسن الآداب، بيَّن أن التكليف الذي وجهه الله إلى الإنسان أمر عظيم؛ فقال: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ ﴾ ؛ أي: التكليف)[١].

وقال ابن عاشور: (استئناف ابتدائي أفاد الإنباء على سنة عظيمة من سنن الله تعالى في تكوين العالم وما فيه؛ وبخاصة الإنسان)[٢].

وقد تعددت الأقوال في تفسير الأمانة، ولكنها ترجع للدين؛ فهو الأمانة الكبرى، قال الإمام القرطبي: (والأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال، وهو قول الجمهور)[٣]، وقال الإمام الطبري قبله: (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما قاله الذين قالوا: إنه عنى بالأمانة في هذا الموضع: جميع معاني الأمانات في الدين وأمانات الناس)[٤]، وعلق ابن كثير على الأقوال في الأمانة: (وكل هذه الأقوال لا تنافي بينها، بل هي متفقة وراجعة إلى أنها التكليف، وقبول الأوامر والنواهي بشرطها، وهو أنه إن قام بذلك أثيب، وإن تركها عوقب، فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه، إلا من وفق الله، وبالله المستعان)[٥].

---

(١) تفسير الرازي، ٢٥/ ١٨٧.

(٢) التحرير والتنوير، ٢٢/ ١٢٤.

(٣) تفسير القرطبي، ١٤/ ٢٥٣.

(٤) تفسير الطبري، ٢٠/ ٣٤٢.

(٥) تفسير ابن كثير، ٦/ ٤٨٩.

والمسلم على وجه الخصوص أعظم الناس أمانة؛ لأنه يحمل معه الدين الحق، وهو أمين على ما أؤتمن عليه، وقيامه على هذه الأمانة العظيمة يستدعي معرفة بأمور مهمة، ومنها الوعي بحمل هذه الأمانة في هذا العصر.



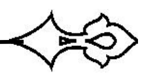
وذلك أن هذا الدين، دين الإسلام، يمرُّ بتحديات صعبة وأخطار جسيمة من جهة، وأمامه فرص كبيرة من جهة أخرى، وهي بحاجة لوعي عميق من أجل التعامل معها.

عندما نبحث عن تعريف للدين لا نجد ما يغنينا، وإذا رجعنا للمؤلفات الخاصة بهذا المجال نجد تشوُّشًا في بيانه مع شهرته في تاريخ البشرية، فنجد لعلماء الاجتماع تعريفاتهم، وهناك قسم خاص من هذا العلم يهتم بدراسة الدين؛ وهو علم الاجتماع الديني، ولعلماء النفس تعريفاتهم، وهناك قسم خاص من هذا العلم يهتم بدراسة الدين؛ وهو علم النفس الديني، وكذا لعلماء الإنسان؛ فضلًا عن اللاهوتيين وأصحاب الديانات، ومع ذلك فيصدق على أغلبهم قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [الروم: ٣٠]، فهم بعيدون عن تعريف الدين الحق، وما نقبله من تعاريفهم فيناسب أديان الباطل [١].

ومع أن التعريفات للدين قد تبعدنا عما هو معروف لكل البشر، ولكن لا بد منها في مثل هذه الدراسات؛ حتى يتضح الأصل اللغوي لهذه الكلمة؛ فأقول: الدين في اللغة كما قال ابن

---

(١) لقد اشتكى العلامة محمد دراز رحمه الله من هذا الإشكال المشوش للمعنى حتى في معاجمنا اللغوية، ينظر: كتابه المهم: الدين، ص٢٩ وما بعدها؛ وذكر الصعوبة أيضًا: د. إبراهيم تركي، علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلامي، ص١٩؛ وأيضًا تحدث عن هذه الصعوبة د.محمود بن الشريف، الأديان في القرآن، ص٢٠، وحول تعريفات الغربيين، ص٣٣ وما بعدها؛ وينظر: وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، د. محمد الزحيلي، تعريف الدين، ص١٥، دراسات في الأديان، د. سعود الخلف، ص٩؛ المصطلحات الأربعة في القرآن، أبو الأعلى المودودي، ص١١٦.



فارس رحمه الله: ("دين": الدال والياء والنون أصل واحد، إليه يرجع فروعه كلها؛ وهو جنس من الانقياد والذل. فالدين: الطاعة، يقال: دان له يدين دينًا؛ إذا أصحب وانقاد وطاع)[1].




وفي "الموسوعة العربية العالمية" ترتيب جيد لهذا المفهوم العظيم، وفيها: (في الاصطلاح كما عرَّفه الإسلاميون بأنه: وضع إلهي سابق لذوي العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل. فالدين بمقتضى هذا الاصطلاح هو وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات، وإلى الخير في السلوك والمعاملات. ومن أشهر تعريفات الدين عند الغربيين ما قاله الفيلسوف (كانْتْ) في كتابه "الدين في حدود العقل": (الدين: هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية).

وهذه المعاني والتعريفات حصرت الدين في نطاق الأديان الصحيحة المستندة إلى الوحي السماوي؛ مثل الإسلام واليهودية والنصرانية قبل تحريفها، لكن هناك ديانات أخرى؛ كالديانة الطبيعية التي تستند إلى العقل فقط، والديانة الخرافية التي تستند إلى الخيالات والأوهام، وهي وإن كانت تخرج في جوهرها عن معنى الدين؛ كما حددته التعريفات السابقة- لا سيما تلك التي تتخذ الأوثان والحيوان والكواكب أو الجن آلهة- إلا أن القرآن الكريم سمَّاها "دينًا"؛ يقول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، ويقول جل شأنه: ﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦ ﴾ [الكافرون: ٦] ، والدين على هذا: منهاج حياة وطريق وسلوك)[2].

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ٢/ ٣١٩.

(٢) الموسوعة العربية العالمية، مادة: دين؛ وينظر: الكليات لأبى البقاء الكفوي، ص٤٤٣-٤٤٥.




مكانة الدين في حياة البشر:

الدين هو أعظم انتماء، وتاريخ الإنسان هو تاريخ الانتماء الديني، وكما يولد كل مولود على الفطرة، فكذا قد ولدت البشرية على الدين، فهو أعمق انتماء في الوجدان الإنساني، وهو أول منشئها، وهو نهاية وجودها، فالدين هو الماضي العظيم، وهو الحاضر دون انقطاع، يقول هنري برجسون: (لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات، ولكنه لم توجد قط جماعة بغير ديانة)[١]، وفي معجم (لاروس): (إن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية، حتى أشدها همجية، وأقربها إلى الحياة الحيوانية، وإن الاهتمام بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية)[٢]. وغريزة الدين تبدأ من الولادة، ومن الأدلة الحديثة على ذلك أن جامعة أكسفورد أشرفت على بحث كبير عمل فيه (٥٧) باحثًا، في عشرين دولة، وعلى مدار ثلاث سنوات، وبكلفة وصلت ما يقرب من اثنين مليون جنيه استرليني، ونشرت نتائجه سنة ٢٠١١م، خرجوا بأن الأطفال الصغار يولدون ولديهم فطرة الإيمان بالله والحياة بعد الموت[٣].

فالدين هو الانتماء الحقيقي للإنسان، إلا أن هذا الانتماء يواجه إشكالات عظيمة معاصرة، فهو من أشد الانتماءات تعرضًا للزلزلة في عالم اليوم، فمع أن الإنسان كائن متدين، ولا يمكنه أن يعيش حياته الحقيقية دون انتماء ديني، إلا أن هذا الانتماء يواجه تحديات عظيمة، جعلت البشرية في حيرة قاتلة.

---

(١) الدين..، دراز، ص٨٣؛ وينظر: الأديان في القرآن، د. محمود بن الشريف، ص٧؛ .

(٢) المرجع السابق، ص٨٢.

(٣) ينظر: الإلحاد للمبتدئين، د. هشام عزمي، ص٦٣-٦٤.





نعم يوجد من يغفل عن الدين، وينغمس في حياته الدنيوية، فلا يرفع رأسه لما فوقه، أو من ينغمس في سفسطة وشكوكية عقيمة، فينكر الواضحات[1]، وهذه الحالات الشاذة، أو بعض المراحل التاريخية في بعض الحضارات، لا تقلل من قيمة الحقيقة الجوهرية، وهو عظمة الانتماء الديني في التاريخ البشري، ومع ذلك فهو انتماء عديم القيمة حتى يوفق الإنسان للدين الحق؛ دين الإسلام.

وأولئك الذي يطمسون انتماءهم الديني يعيشون في فراغ؛ فهناك ظلمات تحيط بالكثير، وهناك خوف وقلق وضنك، وهناك حياة سعادتها قصيرة ويعقبها ألم وحيرة وتيه وأفق مسدود؛ بقدر الضياء المحيط بالبشر بواسطة الكهرباء والأصوات والحياة الموارة بالعمل والنشاط؛ إلا أن نهاية كل يوم تُختم بتعاسة ومستقبل غائب مجهول وحزن، وما أن تنفتح أسئلة الوجود الكبرى حتى ينفتح القلب على القلق والضيق والنكد؛ قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[الأنعام: ١٢٢]، وإذا ما أراد أحد هؤلاء إيجاد حل لتلك الأزمة؛ فإن الحلول تأتي قاصرة ملهوفة جاهلة متوترة؛ فيبحثون عن أي دين.

ويتحدث العالم اليوم عن ذاك الشغف البشري بالدين، وعن تلك الجموع الهائمة التي تبحث عن الدين وتتشبث بأي دين يزعم قدرته على تلبية هذا الشغف، فتتلقفهم الروحانيات الزائفة التي يتعلق بها هؤلاء، فتخدر صاحبها مؤقتًا؛ قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم:٣٠]، فانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾، وما أصدقها على حال البشرية اليوم! فملايين البشر في هذا التيه، تائهون عن الدين القيم،

(١) ينظر: المرجع السابق، دراز، ص٨٢.





ومن استمسك منهم بدين فقد يذهب لأديان لا تغني ولا تسمن من جوع، فكيف وقع هذا التيه عن الدين القيم؟ وهل نحن معصومون عن هذا التيه؟ أليس اليوم هناك من يُعلن إلحاده بعد إسلامه وكُفرَه بعد إيمانه!



يا إلهي ثبتنا على دينك، واهدنا صراطك المستقيم؛ فلا بد من طلب الهداية دائمًا من الله سبحانه وتعالى، فلو تركنا المولى لأنفسنا لضللنا، فانظر كم عالم في العلوم المختلفة ثم هو لا يعتنق الدين الحق دين الإسلام! ومصداق ذلك ما روي عن أبى ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: (يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته؛ فاستهدونى أهدكم)(١).

وقد جاءت هداية الله الخاتمة في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي دين الإسلام وفي القرآن، ولم يكن الدين مجهولًا قبل الرسالة الخاتمة، ولكنه كان مشوبًا بشوائب تفسد رونقه وكماله وعظمته، فنزل القرآن آخذاً بهذا المصطلح، وتنقيته مما لحق به، ثم ملئه بما يرفعه ويحقق كماله(٢).

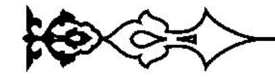
ومن ثَم كان أعظم قول وأصدقه حول الدين وتاريخه ومسيرته ومستقبله: هو ما نجده في القرآن، وعندما ننظر قصص الأنبياء في القرآن فهي قصة الدين الحق في مواجهة أديان الباطل(٣).

والقرآن يعرِّف الدين الحق بأنه الإسلام؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ

(١) مسلم، رقم (٦٧٣٧).

(٢) ينظر: المصطلحات الأربعة، المودودي، ص١٢٠.

(٣) ينظر: موجز الأديان في القرآن، د. عبد الكريم زيدان.





وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩ - ٢٠].

قال الزجاج: (الدين: اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه، وأمرهم بالإقامة عليه، وأن يكون عادتهم، وبه يجزيهم. وقال شيخنا علي بن عبيد الله: الدين: ما التزمه العبد لله عز وجل.




قال ابن قتيبة، والإسلام: الدخول في السلم، أي: في الانقياد والمتابعة، ومثله الاستسلام، يقال: سلم فلان لأمرك، واستسلم، وأسلم، كما تقول: أشتى الرجل، أي: دخل في الشتاء، وأربع: دخل في الربيع)(١).

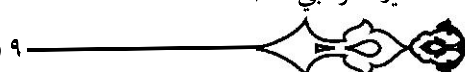
وهو دين الأنبياء جميعًا، ومن ابتغى غيره فلن يقبل منه؛ قال تعالى: ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٣ - ٨٦]، وقال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٢].

قال القرطبي: (﴿لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ أي: الإسلام، والألف واللام في ﴿ٱلدِّينَ﴾ للعهد؛ لأنهم قد كانوا عرفوه ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾: إيجاز بليغ. والمعنى: الزموا الإسلام ودوموا عليه، ولا تفارقوه حتى تموتوا)(٢).

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، ١/ ٣١٢.

(٢) تفسير القرطبي، ٢/ ١٣٦.



مجلة كلية الدراسات الإسلامية

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفتح: ٢٨]، ومثلها في سورة الصف: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الصف: ٩].

وهذا الدين قد كَمُلَ بمحمد صلى الله عليه وسلم؛ قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]، وهذا الدين هو المجموع في حديث جبريل عليه السلام، وفيه: (هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم)(١).

يُمثّل الدين الحق- الإسلام- النعمةَ التي أنعم الله بها على عباده، والصراط المستقيم الذي يجب اتباعه والثبات عليه، بينما ما سواه من الأديان يمثِّل الانحراف عن الدين الحق أو الموضوعة لمعارضته.

وهذه المكانة المهمة للدين، والتي لم تزل حاضرة في وعي البشرية، تستدعي من المسلمين موقفًا خاصًّا، يقوم على بذل أقصى الوسع في حفظ هذه المكانة، واستثمارها في تقديم الجواب الإسلامي لتحديات الواقع وتطلعات المستقبل.

---

(١) هذه رواية أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين وغيرهما، البخاري، رقم (٤٧٧٧)؛ مسلم، رقم (١٠٦).





# المبحث الثاني
# نموذج مكونات الدين

نسمع بأديان كثيرة، ونقرأ عنها، ونشاهد أهلها في وسائل الإعلام، ونخالط بعضهم، وغالبًا ما يعلق الذهن بموضوع واحد مشهور أو شاذ عن هذا الدين أو ذاك، فمثلًا: إذا ذكر الهندوس تبادر لذهنه عبادة البقر، وحرق جثث الموتى، وإذا سمع النصارى تبادر لذهنه صورة الصليب، وإن مرَّ بخاطره البوذية رأى الرداء الأحمر لرهبانهم أو تمثال بوذا؛ وهكذا، بخلاف من عنده وعي، فقد يتجاوز هذه المعرفة المجزأة عن هذا الدين أو ذاك، ويذهب لمكونات الدين الأساسية.

يمكن أن نضع المكون الكلي لكل دين، بحيث نبتعد عن النظرة القاصرة على موضوع واحد إلى الكل المكون، وهذا الكل لا يشترط أن نعرف عناصره عند أهل كل دين؛ لأن هذا من الكفايات التي ترتبط بأهل التخصص، وإنما المطلوب هنا ما يرفع درجة الوعي بالأديان؛ لما يترتب على هذا الوعي من مواقف اعتقادية وعملية، وبخاصة طريقة دعوة أهل هذه الأديان، وهي واجب المسلمين الأهم، وهي فرصة تتسع مساحتها في السنوات الأخيرة لمن أحسن وعيها وأحسن التعامل معها.

وأضع هنا نموذجًا مقترحًا للوعي بمكونات الأديان عبر القاسم المشترك بينها، ومن خلال الجدول تتضح العناصر المشتركة بين أغلب الديانات الضالة، وهي: (التأسيس، عقيدتهم في الإله أو الآلهة، الوسيط، الكتاب المقدس، المآل، العقائد، الشرائع)[1].

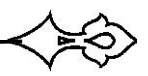
(١) ينظر: نماذج من البحث عن هذه المشتركات، دراسة نقدية في فلسفة الدين، أديب صعب، ص٣٨.






| الأصول | تصور أهل الديانة | صورة الانحراف | الدين الحق |
|---|---|---|---|
| التاريخ | النسخة الأولى للدين وما لحقها من تغيرات. | | |
| التأسيس | من الله أو من البشر. سماوي أو وضعي. (١) | | |
| الإله أو الآلهة | واحد أو أكثر من واحد، والمشركون يبدأ عندهم من إلهين: الثانوية، ثلاثة عند المثلثة مثل النصارى، أكثر من ذلك مباين أو متصل مخالط: (الحلولية والاتحادية ووحدة الوجود).<br>ويرتبط بذلك مفهوم العبادة. | | |
| الوسيط | ابن للإله (اللاهوت والناسوت) كقول النصارى.<br>نبي من البشر اختاره الله واصطفاه.<br>قائد كبوذا أو كنفشيوس. | | |
| الكتاب المقدس | كلمة الإله أو فُهمت منه.<br>أو من البشر. | | |
| المصير | اليوم الآخر:<br>فناء كمقولة الدهرية؛ أو تناسخ الأرواح؛ أو موت ثم بعث. | | |
| عقائد | الغيبيات:الملائكة والجن؛ المعجزات والكرامات؛ السحر، البركة | | |
| شرائع | الصلاة والحج الصوم.<br>أهمية المعبد والصلاة فيه أو الحج إليه.<br>الاحتفاليات والجنائزيات والاجتماعيات.<br>الحلال والحرام. | | |

(١) هناك تقسيم رباعي شبه جغرافي بحسب أديب صعب: أديان الحضارات القديمة، الأديان الهندية: الهندوسية والجاينية والبوذية والسيخ؛ أديان الشرق الأقصى: الطاوية والكونفوشيوسية في الصين والشينتو في اليابان؛ أديان الشرق الأدنى: الزردشتية واليهودية والمسيحية والإسلام؛ الأديان الحية، ص١٢.



فعندما نسمع اسم دين معين، أو نقابل صاحب دين، ويذكر لنا دينه، فمن باب الوعي المطلوب: أن يكون عندنا المحتوى الأساسي لهذه المكونات الثمانية، ويمكن ملؤها بسهولة من خلال العودة لأي موسوعة جيدة أو أطلس متخصص، عند الحاجة لذلك[1]، فمن كان متصلًا ببيئة فيها ديانة معينة، أو بشخص على دين ما، فقبل الحوار معه، فينبغي تكوين مستوًى معين حول المكونات السابقة، وبعد تحديد المعتقد في كل جانب يبين في العمود الثاني صورة الانحراف في هذا المعتقد، ثم ما يقابله في الدين الحق؛ دين الإسلام.




أما المتخصص فهو يضيف عمودين مهمين؛ وهما: أصل ضلالتهم؛ استدلالًا واعتقادًا، ثم قسم خاص بالنقد العلمي المتين.

ويجدر بطالب العلم والداعية المعاصر في فضاء العولمة: أن يكون مُلمًّا بحدود مكونات الجدول بالديانات التي تحيط بنا، وهي محدودة، فهذا من الوعي المطلوب، وهذا النموذج يُسهِّل تحقيقه.

(١) يمكن الاستفادة هنا من: الموسوعة العربية العالمية، أو أطلس الأديان لسامي المغلوث.



## المبحث الثالث

## الأديان الحية

بعد أن تعرفنا على مكونات الدين، فإن مطلب الوعي يختص بما هو قائم ومؤثر، وليس بما هو منقرض أو غير مؤثر، ومن ثم فنحن بحاجة لجمع أهم الأديان الحية اليوم[1]، ويمكن وضع مقاييس لهذا الجمع ثم الترتيب لها كالتالي: من جهة الأصل الإلهي والوضعي لها، ومن جهة كثرة الأتباع، ومن جهة الأقرب للدخول في الإسلام، ومن جهة الأخطر على المسلمين، وهكذا، مع العلم أن أهداف الوعي بالديانات قد يُغيِّر الترتيب بحسب نوع الهدف.

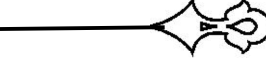
وعند الحديث عن مجموع هذه الأديان؛ فيُعلم أن هناك قسمًا مقابلًا لها، ويذكر معها، وهم الذين لا يدينون بدين، وبخاصة الملاحدة، والذين زاد عددهم في السنوات الأخيرة.

وهناك جهات متخصصة لدراسة واقع الأديان مثل مركز "بيو" الأمريكي[2]، وهناك صفحة مهمة على موقع ويكبيديا بعنوان "قائمة التعداد الديني"، تحيل لبعض المراكز والمراجع المهمة

---

(١) يوجد كتاب مشهور لأديب صعب بعنون: الأديان الحية، وتحدث فيه عن تسع ديانات؛ وهناك موسوعة إنجليزية مترجمة للعربية في مجلدين بعنوان: الأديان الحية تحرير "زينر" وترجمة د. عبد الرحمن الشيخ، ومع أنها قديمة نسبيًّا؛ حيث كانت طبعتها سنة ١٩٥٩م، إلا أنها تحوي جهدًا كبيرًا كما جاء توضيحه في مقدمة الجزءين، مما جعلها مهمة فيما تقدمه من معلومات عن واقع الأديان إلى تلك المرحلة، وبخاصة أنها موجودة اليوم، وتحدثوا فيها عن عشرة أديان.

(٢) http://www.pewforum.org..



في هذا المجال. وينبغي أن يكون للمسلمين مراكزهم الخاصة التي تهتم فقط بالدراسة العددية لحركة الأديان، وخصائص هذه الأعداد، وتحليل هذه الخصائص، بما يفيد دعاة الإسلام[1].

وهذه إحصائية حديثة من أحد المراكز الغربية المهتمة بدراسة واقع الأديان اليوم، ومن الطبيعي أن مثل هذه الأرقام تؤخذ بحذر، ولكنها تبقى مؤشرًا مهمًّا في دراسات اليوم.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية

**Size and Projected Growth of Major Religious (**

| | 2010 POPULATION | % OF WORLD POPULATION IN 2010 |
|---|---|---|
| Christians | 2,168,330,000 | 31.4% |
| Muslims | 1,599,700,000 | 23.2 |
| Unaffiliated | 1,131,150,000 | 16.4 |
| Hindus | 1,032,210,000 | 15.0 |
| Buddhists | 487,760,000 | 7.1 |
| Folk Religions | 404,690,000 | 5.9 |
| Other Religions | 58,150,000 | 0.8 |
| Jews | 13,860,000 | 0.2 |
| **World total** | **6,895,850,000** | **100.0** |

Source: The Future of World Religions: Population Growth Projections, 2010-

PEW RESEARCH CENTER

تتحدث هذه الأرقام عن ثمان مجموعات دينية[2]- لأن كل دين بداخله فرق- عن واقعها في سنة ٢٠١٠، ثم بحسب المناهج التحليلية والبحثية لاستشراف المستقبل، درسوا مستقبل هذه الديانات حتى ٢٠٥٠، ثم ٢١٠٠، وخرجت الدراسة بأن الدين الذي يشهد صعودًا: هو الإسلام، حتى إنه يتوقع أن يتجاوز كل الأديان خلال سبعين سنة.

---

(١) ينظر: تصنيف الأديان بحسب الانتشار مع ذكر الأرقام كتاب د. عبد الله سمك، مدخل لدراسة الأديان، ص١٤٤ وما بعدها.

(٢) ينظر لكامل الدراسة: موقع بيو: http://www.pewforum.org/2015/04/02/religious-projections-2010-2050/.



وتضع القائمة مجموعة مليارية في الجدول، أولها النصرانية، ثم الإسلام، ثم اللادينيين والملاحدة، وأحد أسباب تضخمها هو إضافة مجموعات دينية صينية؛ مثل الكنفشيوسية ضمن هذه القائمة، ثم الهندوسية، والهندوسية ديانة مغلقة، فهي كثيرة بسبب كثرة سكان الهند الهندوس، وإلا فهي ديانة غير قادرة على اجتذاب مجموعات من خارج العرق الهندي.



وكشفت الدراسة أن الديانة المختلطة بين الإلحاد وغير الإلحاد مع غلبة الإلحاد: هي البوذية، وهي تصل لنصف مليار، وأحد أسباب كثرة المنتسبين إليها: وجودها في مناطق ذات كثافة سكانية، ولكنها بدأت تجذب بعض الغربيين إليها، دون أن نصل لأعداد مليونية ملفتة في خارج موطنها الجغرافي. وعليه فهي تشبه الديانات المليونية بسبب كثافة سكان البيئة التي ظهرت فيها.

وهناك مجموعة الأديان القومية؛ والتي تضم بقية الديانات المغلقة: الساذجة والمعقدة، ولكنها منحصرة في أعراق وأوطان، ويصل عدد كل هذه الديانات نصف مليار تقريبًا، ويغلب عليها الطابع الوثني باستثناء الديانة اليهودية، ومنها ديانات وثنية في أفريقيا وأمريكا الجنوبية.

ويظهر من الإحصاء وجود مجموعات دينية لم ترتبط بوضع واضح، فوضعت تحت عنوان: "أديان أخرى"، بعدد يصل إلى ما يقرب من ستين مليونًا، وقد يدخل فيها أديان جديدة، مثل "الوثنية الجديدة" [١]، ومثل "البهائية" التي أصبحت في قائمة الأديان المعترف بها في الهيئات الأممية، ويبلغ عددهم أكثر من مليون[٢].

---

(١) ينظر: مثلا على الشبكة ديانة "الويكا" والتي تُحقق انتشارًا في الغرب.

(٢) ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مادة: البهائية.

ومن الديانات المشهورة تاريخيًّا: الديانة اليهودية، وهي رغم شهرتها، إلا أنها من جهة أتباعها، لا تمثل وزنًا حقيقيًّا في عالم الأرقام؛ فيعتنقها ما يقرب من أربعة عشر مليونًا فقط؛ أغلبهم في أمريكا، وأغلب الأمريكيين منهم في نيويورك(١).



يرتبط هذا التعداد الديني بالنمو السكاني العالمي، فبحسب الدراسات السكانية، فعدد سكان العالم قفز قفزات كبيرة في المائتين السنة الأخيرة، وذلك حسب الجدول التالي(٢):

| السنة | عدد السكان |
|---|---|
| ١٨٠٠ | مليار |
| ١٩٣٠ | ٢ مليار |
| ١٩٥٩ | ٣ مليار |
| ١٩٧٤ | ٤ مليار |
| ١٩٨٧ | ٥ مليار |
| ٢٠١٥ | ٧,٣ مليار |

ومن الطبيعي أن تكون النصرانية ذات رقم كبير، وأن تكون في المرتبة الأولى، وذلك لأسباب لا ترتبط بذات الديانة، وإنما بالوضع السياسي والاقتصادي للدول ذات الكثافة السكانية النصرانية، فهي تملك موارد مادية كبيرة، وتنشط في التنصير بسند سياسي قوي ودعم مالي

(١) ينظر حول تعدادهم وتوزيعهم على دول العالم: موقع ويكيبيديا، موضوع: اليهود حسب دول العالم، وفيه روابط لمواقع ومراجع متنوعة.

(٢) الأرقام هنا تقريبية، وينظر: الكتاب المهم: اكتشاف وصياغة المستقبل العالمي، باري، ص٣٢؛ وهذه الأرقام أيضًا طالعتها على موقع "سكاي نيوز" يوم الخميس: ٢٢ يونيو ٢٠١٧، بعنوان: "تعرف على تعداد سكان العالم في ٢٠٥٠".

كبير، ومعلوم أن حركة الاستعمار الكبيرة التي أعقبت الثورة الصناعية قد أسهمت بشكل كبير في فرض التنصير ضمن نشاط الاستعمار الأوربي لبقية قارات العالم.



أما الدين الذي له أتباع كثر، ويمثل جاذبية لقطاعات عريضة بمكوناته الذاتية دون أن يملك الدعم الكافي، بل هناك تحرك عالمي ظاهر أو خفي ضده، فهو الإسلام، وهو الدين الثاني عالميًّا[1]، ومع ذلك فهو يتوسع بشكل كبير، وربما هذه من عناصر الخير له، فلو كان مثل بعض الأديان التي تنتشر بقوة السياسة أو بالترغيب المالي والدنيوي، لكان ذلك مشككًا في قدرات الإسلام الذاتية في الإقناع؛ بخلاف ما نشاهده اليوم من عقبات كبيرة توضع أمام الإسلام، ومع ذلك فهو ينتشر انتشار النار في الهشيم.

وهذا الترتيب لسكان العالم وفق الأديان يعطينا مؤشرًا حول قلة عدد الأديان الحاضرة اليوم، ومن ثَمَّ يصبح الوعي بمكونات هذه الأديان من السهولة بمكانٍ، وكذلك يمكن وضع قائمة ميسورة بالمهمات لمن له صلة بأي دين منها، وبخاصة في بابين مهمين للوعي الفكري: وهما الحذر من مخاطرها، وأسلوب مناقشة أصحابها ودعوتهم للدين الحق.

---

(١) بل في كثير من بلدان العالم هو الدين الثاني، وفي القارة الأوربية هو الدين الثاني، وبحسب دراسات إحصائية أوربية عن السكان ما بين: ١٩٩٥-٢٠٥٠م، بأنه سيكون هناك تناقص حاد في عدد السكان بسبب معدلات المواليد، يقابله تزايد في مواليد المسلمين، وسيصبح الحضور الإسلامي أكثر أهمية في المستقبل، ينظر: الإسلام: الدين الثاني في أوروبا، تحرير شيرين تي هنتر، ص٣٣-٣٤.

| مكونات الدين مع تعريفه | مخاطر وطرق توقيها | كيفية مناقشة هذا المكون |
|---|---|---|
| فمثلًا يوجد مكوِّن ديني مهم في الديانات الوضعية الآسيوية؛ وهو طريقة إطلاق الروح من قيودها، والرياضات والطقوس التي تقوم بها هذه الديانات اليوجا والنرفانا وما شابه. | فما المشاكل الدينية في هذا المكون؟ وكيف تنتشر في العالم الإسلامي؟ ما الغطاء الذي تُمَرَّر به؟ وكيف يمكن توقيها؟ | كيف تتم مناقشة هذا المكون من منظور عقدي وعقلي؟ وكيف يتم النقد لهذا المكون، وما البديل الحق له؟ وهكذا |



وكذلك معرفة السمات العامة لكل دين، وكيف ينجح في الاستمرار والتأثير، ومواطن قوته وضعفه، وعناصره المهمة؛ وذلك عندما توضع وفق جدول مكوِّنات الدين، ثم تؤخذ هذه المكوِّنات وتوضع ضمن نموذج الوعي العملي؛ القائم على بيان المخاطر وطرق المناقشة، كل هذه الأمور تُسهِّل القيام بالواجب على المسلمين، وذلك أن الكثير يشعر بالواجب، ويشعر بقدرته على فعل شيء، ولكنه مُعطَّل بسبب غياب الوعي بالطريق المناسب، وغياب الوعي بالموضوع ذاته الذي يحتاج لعمل. وفي مجال الوعي قد يكون الواجب وقائيًّا بالحذر من المخاطر، وقد يكون الواجب قائمًا على استثمار الفرص التي أنارها نور الوعي، وعرّفَنا بها وبطريقة العمل لاستثمارها في الدعوة والبلاغ.

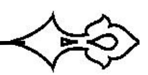
## المبحث الرابع

## تحديات في واقع الأديان والموقف الإسلامي منها



يمثِّل الدين ملاذًا للبشرية، ومهما بلغ نشاط الإلحاد واللادينية فلا غنى عن الدين، وأرقام اليوم كما الأمس تُبيِّن أن مليارات البشر ينتمون للأديان، ولكن هذه الأديان بعامة والدين الحق بخاصة تواجه تحديات كبيرة. وخسارة الأديان الضالة ليست كبيرة؛ لأن انحرافها يؤهل المخالفين لرفع تحدِّيهم لها، بل وقد يكون الحق مع مخالفي تلك الديانات؛ ولكن المشكلة عندما تُمرَّر تلك المعارضات إلى دين الإسلام، ويوضع في سلة الديانات، ومن ثَمَّ كان واجب المسلمين هو الوعي بطبيعة هذه التحديات؛ سواء تلك التي تواجه كل الأديان، فيبين أهل الإسلام تميزهم؛ أو تلك التي تواجه الإسلام بخاصة فيبين أهل الإسلام موقفهم منها.

ومن يتأمل في واقع الأديان ثم موقف الإسلام منها، يجد مجموعة كبيرة من التحديات: فهناك الشرك الذي لم يبرح يأخذ بقلوب ملايين البشر؛ بسبب ميل عامة الناس للمحسوس؛ وهناك تخوُّف عالمي من مصير مظلم للأخلاق والقيم والسلوك في ظل انهيار سندها الديني في البلدان التي توسعت فيها العلمانية وازداد صيت الإلحاد، فضيعت السند الأعظم للقيم والأخلاق؛ وهو السند الديني وإفراغ العالم، مع نجاح العلمانية من التقديس والعبادة والغيبيات، فضاعت العبادة الدينية الحقة، وهناك تحدٍّ لهذا المعنى الجوهري في الإسلام يواجهه المسلمون بعد إفراغ العبوديات من روحها؛ وهناك تحدٍّ كبير حول مفهوم الذات الإنسانية وحقيقتها، فالرؤية المادية الغربية تقوم على العزل التام لهذه الذات عن خالقها، وتقيم دعوى زائفة مفادها: "استقلال الإنسان عن كل ما هو خارج عن ذاته"، فالإنسان لم يعد يستسلم لأي وصاية خارجية كما يزعمون، فرموا بهذا الادعاء الإنسان في عماية تامة؛ إضافة إلى مشكلات الصراع التي كانت في الماضي بين الأديان، فقد أصبحت اليوم أشد مع ميلاد الأيدلوجيات، فانفتح





باب واسع من الصراع، وامتلأ الفضاء بعالم واسع من الشبهات حول الدين بعامة؛ وحول الإسلام بخاصة، يقودها أهل الإلحاد والعلمانية في فضاء العولمة الحالي؛ وهناك تحدي العلمنة والإلحاد والغلو والجفاء؛ هذه وغيرها من مجموعة التحديات الكبيرة بحاجة للتحليل والدراسة؛ للوعي بأبعادها وآثارها، وبناء الموقف الواعي منها.

ويمكن أن نعيد أهم هذه التحديات إلى نوعين كبيرين من التحديات: نوع يرتبط بالعامة وجمهور الناس، وهذا النوع يبدو جليًّا في أصحاب المستوى التعليمي المتواضع والثقافي الشعبي، والنوع الثاني يظهر بوضوح في الطبقات المثقفة والمتعلمة والمنخرطة في الحداثة.

النوع الأول: التحدي المرتبط بالعامة من الناس (المحسوس)

يميل العامة من الناس إلى المباشر والمحسوس؛ فقدراتهم على الانفصال عن المحسوس ليست في مستوى غيرهم، ومن ثَم جاء امتداح الله لمن يؤمن بالغيب في أكثر من موضع؛ لأن إدراك الإحساس بالغيب هو ميزة الإنسان الحقيقية، والتي تفصله عن جنس الحيوان، الذي لا ينفك عن المحسوس؛ فقد قال تعالى في وصف المتقين: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ [البقرة: ٣]، قال السعدي رحمه الله: (وليس الشأن في الإيمان بالأشياء المشاهَدة بالحس؛ فإنه لا يتميز بها المسلم من الكافر؛ إنما الشأن في الإيمان بالغيب، الذي لم نره ولم نشاهده، وإنما نؤمن به لخبر الله وخبر رسوله)[1].

ويغلب على العامة ميلهم للتدين، ولكنهم قد لا ينجحون في أثناء تديُّنهم في الانفلات من الحس، فهم عادة ما يبحثون عن الوسيط الحسي الذي يوصلهم للغيب، وقد جاءت دعوات الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام لأجل إخراج البشرية من هذا الانحراف، وذلك بتزكية النفس والروح والعقل؛ ليتجرد من المحسوسات ويتوجه بقلبه وعقله نحو الغيب، نحو

(١) تفسير السعدي، ص٤٠.



الإيمان بالله والملائكة والآخرة والملأ الأعلى دون الحاجة لوسيط حسي، فيكفي أنه جاء به الخبر الصادق، والفِطَر تتشوق له؛ لأنها مفطورة عليه، والعقل السليم يسلم به؛ ولكن الشيطان يستثمر بساطة البشر، وغَلَبة ميلهم للمحسوس، فيغريهم بوسائط، فيتعلقون بها حتى تنسيهم الغيب.



قال ابن الجوزي رحمه الله: (كل محنة لبَّس بها إبليس على الناس فسببها الميل إلى الحس والإعراض عن مقتضى العقل، ولما كان الحس يأنس بالمثل دعا إبليس لعنه الله خلقًا كثيرًا إلى عبادة الصور، وأبطل عند هؤلاء عمل العقل بالمرة، فمنهم من حسَّن له أنها الآلهة وحدها، ومنهم من وجد فيه قليل فطنة فعلم أنه لا يوافقه على هذا؛ فزين له أن عبادة هذه تقرب إلى الخالق فقالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣])(١).

ويقول البيروني: (معلوم أن الطباع العامي نازع إلى المحسوس، نافر عن المعقول الذي لا يعقله إلا العالمون، الموصوفون في كل زمان ومكان بالقلة، ولسكونه إلى المثال عدل كثير من أهل الملل إلى التصوير في الكتب والهياكل كاليهود والنصارى ثم المنانية خاصة، وناهيك شاهدًا على ما قلته: أنك لو أبديت صورة النبي صلى الله عليه وسلم أو مكة والكعبة لعامي أو امرأة، لوجدت من نتيجة الاستبشار فيه دواعي التقبيل وتعفير الخدين والتمرغ؛ كأنّه شاهد المصور وقضى بذلك مناسك الحج والعمرة)(٢).

واليوم عندما ننظر إلى عامة البشر من غير المسلمين، وننظر إلى كثير من عامة المسلمين، نجد فتنتهم من هذا الميل للحس، والذي أوقعهم في الشرك أو وضعهم في أبواب مفضية إليه.

فأما غير المسلمين، فهذه الديانات الآسيوية المليارية: الهندوسية والبوذية والكنفشيوسية والشنتوية والطاوية وغيرها، نجد عوامهم مرتبطين بمعبودات حسية، في أصنام وهياكل وما

---

(١) تلبيس إبليس، ص٤٩.

(٢) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ص٨٤.

شابه؛ وكذا في أكبر ديانة كتابية؛ وهي النصرانية، حيث نجد التماثيل في الكنائس، وميل العامة لهذه التماثيل والصلبان والقديسين، بل ظهرت في قلب الحداثة الغربية ديانات وثنية حديثة مرتبطة بالمحسوس، وهي غير مستغربة لوجود النصرانية ذات التماثيل التي تملأ حياة عامة النصارى في الغرب.



وأما المسلمون، فقد ظهر الميل للمحسوس من خلال البدع القبورية، والتبرك بمن فيها، وهي ظاهرة في أصحاب عقيدة الأئمة؛ من الشيعة، وأصحاب عقيدة الأولياء والأقطاب؛ من غلاة الطرق الصوفية؛ وقد نقل ابن الجوزي عن ابن عقيل قوله: (لما شقت التكاليف على الجهال والطغام، عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيره...، مثل: تعظيم القبور وإكرامها بما نهى الشرع عنه من إيقاد النيران وتقبيلها وتخليقها، وخطاب الموتى بالألواح وكتب الرقاع فيها: يا مولاي افعل بي كذا وكذا، وأخذ التراب تبركًا، وإفاضة الطيب على القبور، وشد الرحال إليها، وإلقاء الخرق على الشجر؛ اقتداءً بمن عبد اللات والعزى)[1].

وتظهر خطورة الأمر واضحة فيما جاء من شديد التحذير من النبي صلى الله عليه وسلم؛ فمن ذلك - رغم كونه في مرض الموت، وهو يودع هذه الأمة، فينبهها لأمر جلل وخطير؛ فعن عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي مات فيه: (لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مسجدا)[2].

---

(١) تلبيس إبليس، ١/ ٣٥٤.

(٢) البخاري، رقم (١٣٣٠)؛ مسلم، رقم (١٢١٤)، وجاء في الروايات: مسجدًا ومساجد، وينظر حول ذلك: إغاثة اللهفان، ابن القيم، ١/ ١٨٦؛ والكتاب المهم: كيفية دعوة الوثنيين إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد وهف القحطاني.

وهذا اللعن جاء في حق أمتين قد أنعم الله عليهما بأنبياء ورسل، ثم وقعوا في هذه الفتنة، فتنة القبور، فكيف بغيرهم من الديانات القائمة أساسًا على الوثنية؟!

ومعلوم أن الطبقة المثقفة في الديانات الوثنية- مثل: الهندوس أو البوذيين أو غيرها من الديانات- قد لا تعتقد هذه العقائد الوثنية الحسية، وقد يقابل البعض مثقفًا منهم، فينكر ذلك؛ وهذا صحيح في الغالب، ولكن الحديث هنا عن عامة الناس، أما النخب المثقفة والحداثية فلها مشكلات أخرى، تأتي لاحقًا. ومثل ذلك في الطوائف القبورية من المسلمين، فإننا قد نجد من بعض مثقفيهم من يذكر عدم تصديقه بهذه البدع، ولكنه لا يقوم بدور إيجابي لنصيحة الناس وتحذيرهم من هذه الداهية الدهياء.



لقد بدأت ظاهرة القبوريات في العالم الإسلامي عبر المشاهد والأضرحة في القرن الرابع الهجري وما بعده، وهذا يبين أن قوة التوحيد كانت ظاهرة، حتى بدأ الضعف يدخل في الأمة، وتنتشر الأمية والجهل[(١)].

ويوجد اليوم أكثر من ستة آلاف ضريح منتشرة في مدن المسلمين، ويزورها آلاف البشر، وبخاصة عوام المسلمين، ثم لا نجد ما يكفي من النصيحة والبيان والتحذير[(٢)]، بل إن بعض النخب المثقفة قد تسكت عن هذا الوضع الخطير، أو يستنكرون موقف المنكرين له، أو أنهم يعتبرونها ظاهرة سخيفة لا تحتاج عناية واهتمامًا، بينما ما نشاهده من النصوص، وأيضًا ما يتعين من واجب الأخوة الإسلامية؛ من بذل النصح المشفق لكل مسلم حتى البسطاء الذين خدعهم أصحاب الأضرحة، وصرفوهم عن التعبد المشروع، كل ذلك يوجب العناية بالأمر.

---

(١) ينظر: الفتاوى، ٢٧/ ٤٦٦.

(٢) ينظر: دمعة على التوحيد، ص١١، وينظر حول فتنة القبورية: دمعة على التوحيد؛ القبورية في اليمن، أحمد المعلم؛ جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، د. شمس الدين الأفغاني؛ تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، الشيخ ناصر الدين الألباني، ص١٠٤ وما بعدها.



ومن بين الدعوات الإصلاحية الناجحة في هذا الباب: دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، وأهم ما يميزها : عنايتها بإصلاح هذا الجانب، بل انتباهها لهذه المشكلة التي تأخذ بعوام الناس وقت الجهل والضعف، فيقع الميل للمحسوس وتقليد الأمم التي لديها أضرحة كما كان حال أتباع موسى عليه السلام، قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، هذا وبينهم نبي الله، فكيف إذا بعد الناس عن النبوة،؟! قال القرطبي رحمه الله: (نظيره قول جُهَّال الأعراب- وقد رأوا شجرة خضراء للكفار تسمى ذات أنواط يعظمونها في كل سنة يومًا-: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال عليه الصلاة والسلام: "الله أكبر. قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون}، لتركبن سنن في قبلكم حذو القُذَّة بالقذة حتى إنهم لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه)[1].





لقد نجح الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في كتابه: "التوحيد" في مطاردة كل صنوف تعلقات الناس بالمحسوس، وغفلتهم عن التوجه بإخلاص العبودية لله دون وسطاء، حتى في ما يعتاده الناس ويسير على ألسنتهم بعفو الخاطر، مثل قول القائل: (ما شاء الله وشئت)، يخصصه بباب، ويذكر النصوص فيه؛ لأن فيه تحولًا للمحسوس المباشر، حتى وإن عطفه على الرب تعالى، فيأتي النهي الشديد؛ لتنقية الذات من التعلق بالمحسوس، والتوجه بالطلب والقسم والحلف والتعظيم للرب تعالى مباشرة[2]. ولم يقف الأمر عند تأليف كتاب، أو بيان

---

(١) تفسير القرطبي، ٧/ ٢٧٣؛ والحديث عند الإمام الترمذي عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه، برقم (٢١٨٠).

(٢) فمن المسائل التي يذهب إليها عامة الناس لكونها من المحسوس المباشر، وخصها الإمام محمد بن عبد الوهاب بأبواب مستقلة: الرقى والتمائم، التبرك بحجر أو شجر ونحوهما، الذبح لغير الله، والنذر

معلومة، بل قام العلماء والدعاة بتوضيح خطر ذلك، والعناية بتوجيه الناس وتزكيتهم، حتى تم قلع هذا البلاء من نفوس الكثير.

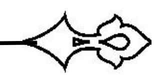
وكان من آثارها صفاء هذه البيئات التي نجحت فيها الدعوة الإصلاحية -بفضل الله- من بدع القبور، بل تنفر نفوسهم مما يشاهدون، وهذا دليل على أهمية الإصلاح، وأنه ينفع في تغيير الناس؛ بخلاف البيئات التي لم تعرف دعوة إصلاحية، فتجد العوام في غاية التعلق بهذه القبور، ويستغربون عدم وجود قبور في بيئات أخرى.



ومع هذا التعلق البشري بالمحسوس وقت ضعف الدعوة للتوحيد، وتقبُّل عامة الناس لذلك؛ لعدم قدرتهم على تجاوز المحسوس والإيمان الحق بالغيب، يبرز واجبنا أمام هذه الظاهرة التاريخية والواقعية، ويبدأ ذلك بالوعي بها، ثم صناعة خطاب علمي ودعوي يتوجه للبشرية عامة وللمسلمين خاصة؛ لاستنفاذهم من الحس الغليظ وإخراجهم إلى فسحة التوحيد. وينبغي أن يصاغ هذا الخطاب بما يتفق مع المتغيرات، فيكون مدروسًا بعناية، ولا ينبغي التوقف عند بيان الخطأ، بل ينبغي أن يُتبع ببرنامج تزكية عملي للناس؛ بحيث يتصف هذا البرنامج بمقدرته التربوية والتزكوية.

---

لغير الله، والاستعاذة بغير الله، والاستغاثة بغير الله، والحلف بغير الله، الغلو في الصالحين، العبادة عند القبر، السحر، الكهانة، التنجيم، الاستسقاء بالأنواء، وحب الأنداد، وقول: ما شاء الله وشئت، وسب الدهر، سب الريح، وغيرها؛ وغالب هذه الأمور موجود حتى في عامة أهل الأديان الأخرى، فهي جنس واحد محسوس يشترك فيه العامة من البشر، وتبقى القبور وما يرتبط بها هي أشد ما يجذب الناس، وقاعدة الكثير منهم: إن قبر فلان هو الترياق المجرب؛ على غرار ما قيل في قبر معروف الكرخي رحمه الله: بأنه الترياق المجرب، ومن ثم، فهذه الجموع البشرية بحاجة لخطاب ينتشلها من هذا المستنقع المظلم إلى نور التوحيد.





وقد أخذ الجانب الحسي أيضًا بمثقفي العصر ومتعلميه من عامة الناس، فمفهوم عامة الناس اليوم يختلف عن مفهوم العوام في الماضي، حيث يغلب على عامة المعاصرين حصولهم على التعليم وتخرجهم من الجامعات واتصالهم اليومي بوسائل الإعلام، ولكنهم مع ذلك غير متمكنين من الوعي النافع الذي يحميهم من شبهات العصر. وقد جاءت مفاهيم الحس في عصرنا بما يناسب ثقافة هؤلاء، فظهرت المذاهب المادية والوضعية والحسية مستندة في دعاويها للعلم الحديث، وقد انجرف الكثير خلف دعاوى المادية وإنكار الغيب والاكتفاء بالمحسوس، ولكن ذلك وقع بحجج عصرية تختلف عن الماضين، وقد خصّص "بوشنسكي" فصلًا مهمًّا عن الفلسفة المادية؛ حيث قال في مقدمته: (نجمع تحت هذه التسمية العامة عدة مذاهب فلسفية من اتجاهات مختلفة: فلسفة برتراند رسل، والوضعية الجديدة، والمادية الجدلية. وإذا لم يكن لهذه المذاهب ثقل كبير فلسفيًّا، وذلك إذا أخذنا الفلسفة بمعناها الدقيق، إلا أنها تؤثر على الجمهور الواسع تأثيرًا يفوق تأثير كل التيارات الفلسفية في القرن العشرين الميلادي في الغرب)(١).

وقد لخص الدكتور "المسيري" هذه الصورة الحسية العصرية في كتابه المهم: "الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان"(٢).

وينقل لنا "راندل" عن أحد منظري المادية صورة هذه الحسية الجديدة فيقول: (إنه لأقرب إلى الطبيعي والمعقول: أن نشتق من صدر المادة كل شيء موجود؛ لأن كل حاسة من حواسنا تبرهن على وجودها، ونختبر كل لحظة نتائجها بأنفسنا، ونراها فاعلة متحركة، تنقل الحركة وتولد الوقود دون انقطاع؛ بدلًا من أن نعزو تكوُّن الأشياء لقوة مجهولة، ولكائن روحي لا

---

(١) الفلسفة المعاصرة في أوربا، ص٦٩.

(٢) ينظر: مثلًا ص١٥.




يستطيع أن يخرج من طبيعته ما ليس هو بذاته، كائن يعجز بحكم الجوهر الروحي المنسوب إليه أن يفعل أي شيء أو أن يحرك أي شيء)[1].

وهذا النوع الجديد من الانجذاب العصري للمحسوسات بحاجة لجهد مناسب ينتشل البشرية من هذا الوحل الحسي إلى الغيب والإيمان.



النوع الثاني: تحديات النخب المثقفة

إذا كان العامة من البشر قد ارتبطوا بمشكلات المحسوس في المجال الديني، فإن النخب المثقفة قد ارتبطت تحدياتها بالمعقول، إلا أن العقل هنا بمعناه المجرد، والعقلانية المجردة هي عقلانية كانت ناتجة عن ردَّات فعل تجاه ما يفعله العامة من إهمال العقل، فغلَوْا في استعمال العقل، فأخرجهم هذا الغلو عن الوسط؛ بخلاف العقلانية الربانية، التي تستمد قوتها من التسليم للوحي والإيمان بالغيب، فتلك هي العقلانية المحمودة، وليس الحديث هنا عنها ولا عن أهلها، وإنما الحديث عن أولئك الذين ضلوا في استعمال العقل.

يواجه الإسلام أربعة تحديات، وهي تواجه الأديان بعامة، ولكن ضررها أعظم على الدين الحق؛ لأنها قد تجد سبب نجاحها مع الأديان الباطلة، فتُعمّم هذه النجاحات -ظلمًا- على الإسلام، كما أن بعض المسلمين قد يظن أن الأديان من جنس واحد، دون تفريق بين المختلفات، وهذه التحديات هي: ظاهرة الإلحاد الجديد، والعلمانية، والغلو في الدين، وتمييع الدين.

اثنان من خارج الأديان؛ وهما: الإلحاد والعلمانية، واثنان من داخلها، وهما: الغلو والتمييع.

---

(١) تكوين العقل الحديث، ١/ ٤٣٩.

وهذه التحديات قد تقع من عامة الناس، ولكنها تقع دون استدلال وحجج، ومن ثم فما يكون منهم سوى المواقف العفوية الساذجة؛ بخلاف ما يقع من النخب في هذا المجال، فهو مبني على شبهات خطيرة.



ومع أن التأسيس لا يكون إلا من دائرة النخب التي انحرفت عن الحق والعدل والوسط، إلا أن من يتأثر بهم لاحقًا هم الجمهور المتعلم والمثقف ثقافة نسبية، قد لا ترقى بهم ثقافتهم لمستوى المؤسسين، ولكنها لا تنزل بهم لمستوى العامة الذين يغلب عليهم الحس في حياتهم، مع أن فيهم من يأخذ ببعض الحسيات، فتجدهم مذبذبين بين الشبهات والحسيات.

وقد يكون هناك بعض الارتباط بين الإلحاد والغلو، بل إن ظاهرة الإلحاد الجديد جاءت متزامنة مع صعود الأصوليات والغلو؛ مما جعل بعض الباحثين يربط بينهما[1]، ومثله ما يكون من الارتباط بين العلمانية وتمييع الدين، فالعلمانية اللينة لا تمانع في ظاهر مذهبها من السماح بالدين الرقيق الشكلي، ومن ثم نجد احتفاءً ظاهرًا من العلمانية بتيارات تمييع الدين.

| مصدره | التحدي | من مكوناته |
|---|---|---|
| الخارجي | الإلحاد | إنكار الدين والألوهية |
| | العلمانية | تقليص دور الدين في الحياة العامة |
| الداخلي | الغلو | تجاوز الحد المشروع |
| | الجفاء والتمييع | إفراغ الحياة العامة من الأعمال الدينية |

والآن نقف بما يتسع له المقام مع هذه التحديات الأربعة:

(١) ينظر مثلا: الإلحاد للمبتدئين، د. هشامي عزمي، ص ٢٠.






## القسم الخارجي: الإلحاد والعلمانية

### أولا: الإلحـــاد

يعد الإلحاد أشد المواقف الفكرية المَرَضية الرافضة للدين، ويُعرَّف بأنه (مذهب من ينكرون الألوهية)[١]، ومع إنكار الألوهية ينهار كل ما يرتبط بالدين. وقد كان ظاهرة ضعيفة في تاريخ البشرية؛ على العكس من ذيوعه في العصر الحديث، حيث شهد الإلحاد رواجًا وانتشارًا، ولم يعد حالات شاذة بل أصبح تيارًا منظمًا له مؤسساته وفلاسفته ودعاته ووسائله[٢]. وقد غلب الهدوء على نشاط الإلحاد بعد انكسار الماركسية كنظام سياسي، وتحوّلَ أصحابه نحو الإلحاد السالب، الذي يعني: اتخاذ موقف شخصي يقوم على الكفر بكل دين وإنكار موضوعات الأديان، ولكنه لا ينشط في الدعوة لموقفه، كما أنه يتخذ موقف التعددية من الآخرين، ويؤيد حرية الآخرين في اتخاذ ما يرونه صحيحًا، بما في ذلك حرية أهل الأديان في إظهار تدينهم.

إلا أنه قد ظهر مع العولمة الفكرية والإعلامية إلحاد موجب، يتميز بنشاط قوي في الدعوة للإلحاد كأشد ما يقوم به أهل الأديان، كما أنه يحارب- وبشراسة- كل الأديان، مع تخصيص الإسلام[٣] بمواجهة خاصة، وتسلل هذا المرض الخطير إلى نفوس بعض الشباب المسلم من ضعيفي الوعي الفكري[٤].

---

(١) ينظر: المعجم الفلسفي، ص٢٠، وينظر: مذاهب فكرية، محمد قطب، ص٦٠٥؛ مليشيا الإلحاد، عبد الله العجيري، ص١٩.

(٢) ينظر الدراسة المهمة: مليشيا الإلحاد، عبد الله العجيري؛ مذاهب فكرية، قطب، ص٦٢٧.

(٣) ينظر: ميليشيا الإلحاد، ص٦٩.

(٤) ينظر: مقدمة د. محمد عمارة لكتاب وهم الإلحاد، ص١٣.




فهناك موجة إلحاد جديدة متوافقة مع موجة التدين العالمي، ولكن الإلحاد المعاصر يتميز بكثافته، وتنوع استدلالاته، واحتيال خطابه وطرحه، واستثماره لمسائل متنوعة، واتحاده العالمي من كل الجنسيات والثقافات، وأرشفته لشبهاته، وتيسيرها للجميع وبكل اللغات، ونشاطهم البارز في شبكات التواصل الاجتماعي، وتقديم مواد إلحادية ناعمة عبر الفنون وبخاصة الفنون السينمائية العالمية؛ إضافة إلى نشاط دعوي لكبار الملاحدة عبر وسائل الإعلام، والحريات المتاحة لهم في الغرب، وضعف الإجابات الدينية لعدد من شبهاتهم الجديدة؛ كل هذا يمثل صورته الجديدة المتناسقة مع العولمة الإعلامية[1]. فهو يقوم بتشكيل شبكة متكاملة من الشبهات التي تعيق الانتفاع بالدين، ويجتهد الملاحدة بملء الحياة بالشبهات، حتى وصل بهم الأمر إلى وضع كتب وأعمال فنية لتوجيه الأطفال نحو الإلحاد[2]، وقد تسبب ذلك في ازدياد الشكاك الجدد، وتوسع مرض الشبهات، فمن لم يخرج من الدين، فهو غارق في الشبهات التي حرمته نعمة الدين.

ومع العلم بأن الإلحاد الحديث لم يكن غريبًا عن العالم الإسلامي، فإنه وقت الاستعمار الذي شمل بلدان المسلمين، نشطت الماركسية عبر معتنقيها وأحزابها ومؤسساتها في الدعوة للإلحاد، ثم ظهرت مدارس عربية متغربة، صرح بعض مفكريها بمواقف إلحادية؛ فكان لذلك دوره في إيجاد بذرة الإلحاد داخل العالم الإسلامي.

---

(١) قام عبد الله العجيري بتقديم عرض توثيقي مهم للنشاط الإلحادي الجديد؛ متتبعًا نشاطاته المختلفة: في التأليف والفنون والمؤسسات وغيرها، ينظر: مليشيا الإلحاد، ص٢١ وما بعدها، وينظر: وهم الإلحاد، د. عمرو شريف، ص٢٦.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص٣٧.

والإلحاد مرض، ومن طبيعة الأمراض أن تنتشر في لحظات ثم تختفي؛ وبخاصة مع قوة العلاج، وهكذا؛ ولكن أمراض عصرنا أكثر تكررًا، وأخطر أمرًا، وأطول عمرًا، كما هو حال الأمراض الجسدية التي تتربص بالناس، وبعضها يصعب علاجه، وتهلك صاحبها، ومثلها أمراض الشبهات، وأعظمها شبهة الإلحاد الذي لا يكاد يأخذ بصاحبه إلا ويهلكه، إلا من رحم الله.



ويجدر بنا أمام الأمراض الخطرة توقي أسبابها ومصادرها، والاحتياط الجيد منها، والمسارعة بطلب العلاج قبل انتشارها، والحذر من تحولها لوباء أو طاعون يصعب عمل شيء معه. ويُعدُّ في صورته الحديثة من أخطر ما يواجه الإسلام، فهو وإن لم ينجح في سلخ المسلمين من دينهم، إلا أنه ينجح في إلقاء بعض الشبهات في قلوب البعض، فيبقى في صراع نفسي كبير.

والوعي بهذه الظاهرة بحاجة لعناية خاصة؛ وذلك أن هذا الإلحاد لم يكن معروفًا بهذه الخصائص في كل الأزمان القديمة، فهو هنا بمعنى الإشكالية وليس المشكلة، والإشكالية ذات أسباب علائقية قوية المفعول، ومن ثم فلا بد من قيام نشاط وعي جماعي، ومؤتمرات وحلقات نقاش وتشاور للخروج بمقترحات، ولن تكون هذه المقترحات نهائية، بل ستكون عملية مستمرة، وتتغير بحسب المتغيرات.

ومما يمكن قوله في حدود هذه الدراسة أنه ينبغي الابتعاد عن الخوف المَرَضي من الإلحاد، وكأنه وباء لا علاج له الذي؛ فهذا يُعطِّل العمل، ويُفقد الأمل، فما من داء إلا وله دواء، فالمطلوب أن يكون هناك وعي وانتباه للخطر؛ بحيث يكون هذا الوعي قادرًا على أن يحرك الطاقات ويفتح مجالات جديدة، واثقًا بنصر الله وقوة الدين وحفظ الله له.



وينبغي إدراك طبيعة انتشار الباطل، وأنه يأتي على شكل موجات صعود وهبوط، ومن ينظر مثلًا إلى تاريخ الفكر الغربي باعتباره نموذجًا لدراسة الإلحاد، يجد موجة إلحاد كاسحة تتقدم، ثم تهدأ ويعقبها موجة تديُّن ومحافظة وباطنية ووجدان، ثم تأتي موجة إلحاد جديدة، وهكذا، بينما هناك من يريد إلغاء هذه الصورة ويضخم المسار الإلحادي، ويجعله مسارًا كونيًّا قاهرًا متسعًا ومكتسحًا دون انكسارات أو ارتداد أو ضعف، وهذا مخالف لتاريخ هذه الظاهرة الحديث.




وقد كانت هناك انعطافة قوية نحو الدين والعودة للإسلام والدفاع عنه مِن قِبَلِ مجموعة عربية شاركت تيارات الإلحاد أو وقعت في الإلحاد، مع أنهم قد فهموا دروب الإلحاد، ومنهم من كان متعمقًا أشد التعمق في فلسفات أعتى ملاحدة العصر، من مثل: مصطفى محمود، عبد الرحمن بدوي، عبد الوهاب المسيري وغيرهم، بل إن "بدوي" مؤلف "من تاريخ الإلحاد في الإسلام" والمتحمس في أول عمره لهذه النزعات الإلحادية، يختم حياته بكتابين في الدفاع عن الإسلام، وهما: "دفاع عن القرآن ضد منتقديه"، و"دفاع عن محمد ضد المنتقصين من قدره".

ومع ذلك فلا بد أن نتذكر عِظَم الابتلاء بالشبهات والمحن والشهوات، فمن سنن الله: ابتلاء العباد؛ ليميز الخبيث من الطيب، والصادق من الكاذب، وإن من أعظم الفتن والابتلاءات تلك التي تصرف الإنسان عن الدين الحق، وتبعده عن هدى الله، فكيف يأخذ المؤمن بعزائم الأمور، ويصبر ويصابر أمام هذه الشبهات، فيظهر معدنه الصافي؟ وهذه مجموعة عظيمة من الآيات التي يجب تدبرها أمام مثل هذه الظواهر؛ قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرۡجُواْ






لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [العنكبوت: ١-٦]، وقال تعالى: ﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ ﴿٢٩﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٣٢﴾ ﴾ [محمد: ٢٩-٣٢]، وقال تعالى: ﴿ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗ ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [المائدة: ٤٩].

فهذه الآيات تدل دلالة واضحة أن الله تعالى لم يكن ليترك المؤمنين على حالهم؛ حتى يمتحنهم بأنواع الامتحانات؛ سواء كان ذلك بإنزال النعم عليهم تترى؛ ليبلوهم أيشكرون أم يكفرون، أو بالابتلاء بنقص المال والأنفس والثمرات؛ ليبلوهم أيصبرون أم يجزعون، وإنما يعرف الناس بالابتلاءات.

وأمام هذا الابتلاء والبلايا يجب سلوك المسلك الشرعي وتذكير المسلمين بالطرق الشرعية للعلاج، فلا يظن البعض أن الجواب العلمي المدلل والعقلي المتماسك يكون كافيًا في علاج الإلحاد، وإنما هو من باب إقامة الحُجة وقطع الطريق على هؤلاء العتاة المعتوهين، وإنما الأولى بالمسلم أن يجتنب أبواب هذه الشبهات، وأن يصوب تركيزه نحو تعميق الإيمان في القلب، والانشغال بما يجب، والاستعاذة من الشبهات، وسؤال الله الثبات.

ولا بد أن يكون من أسلحة المؤمن: الموازنة بين الأولويات، فهناك خطاب يُضخِّم خطر الإلحاد الذي يبتلع شباب الإسلام يومًا بعد يوم، وهو حق، ولكن أيضاً هناك الآلاف ممن هو



مقبل على الإسلام وعلى التدين، وبحاجة للتعليم والتربية والتوجيه، كما أن مجالات الحياة بحاجة لمن يقودها، فيُوازَن بين الواجبات، وتُقدَّمُ الأولويات، وتتوزع الطاقات، وتنفر طائفة تجاهد بعلمها وفكرها، ويبقى الجميع على الثغور الكبرى: التعليم والدعوة والتربية ومجالات الحياة المتنوعة.




وحتى ننجح في هذه المهمة فلا بد من تطوير أدوات الفهم ووسائل النقاش للظواهر الإلحادية الجديدة؛ مع طرح الأسئلة المهمة ومحاولة الإجابة عنها مثل: كيف ينشأ الإلحاد؟ ما أهم شبهاته؟ كيف يؤثر في الناس؟ ما القوى الفاعلة؟ ما الذي يجب التركيز عليه؟ كيف نواجهه؟[١].

## ثانيا: العلمانية

نشأت العلمانية في أورب، لأوضاع خاصة بتلك البيئة، وبعد الثورة الفرنسية أصبحت ضمن دساتير الدول الأوربية، وقوام العلمانية على فصل الدولة عن الدين، وهو تعريف مشهور وإن كان لا يقول كل الحقيقة، فهو غير وافٍ بكل معاني العلمانية[٢]، ولكن فصل الدولة يؤدي إلى فصل الحياة بكاملها عن الدين؛ لأن الدولة الحديثة تتميز بدخولها جميع تفاصيل حياة الناس، وحتى المجال الخاص الذي تركته العلمانية للناس، تجد الدولة متداخلة معه ومتصرفة فيه بأنواع خفية من التصرفات، ومن ذلك البيت، فهو من المجال الخاص، ولا يوجد بيت يستطيع منع الإعلام وأجهزته من الدخول إليه، وهذا يعني دخول العلمانية للبيت، والفصل

(١) قامت مجموعة مراكز بحثية بإنتاج مجموعة مهمة من الدراسات والترجمات والنشاطات حول هذه الظاهرة، مثل: مركز دلائل؛ مركز يقين لمعالجة النزعة الإلحادية واللادينية؛ مركز براهين لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقدية؛ مركز تكوين للدراسات والأبحاث.

(٢) ينظر: العلمانية، سفر الحوالي، ص٢١؛ موسوعة اليهود، عبد الوهاب المسيري، ١/ ٤٤٨.



بين البيت والمجال العام في نموذج الدولة الحديثة في غاية العسر، ومن ثم يمكن أن يكون الأنسب هو فصل الدين عن الحياة، وليس هذا فقط، بل إنها ترى وجوب استبعاد الدين عن مناشط الحياة[١].




ومعلوم أن الدين مصدره الوحي، أي: إلى مصدر إلهي؛ بخلاف الفكر فهو ينتسب للعقل والمصلحة، أي: إلى مصدر إنساني؛ ومعلوم أن أوربا بعد قرنين من عيسى عليه السلام تعرفت على الدين المسيحي، وفي القرن الثالث أخذت أوربا بالنسخة النصرانية المحرَّفة التي أسسها "بولس" وأتباعه، ومن ذاك الوقت وأوربا تُعدُّ قارة نصرانية[٢]، ومع كل قرن يزداد الانحراف الديني النصراني، وبلغ ذروته مع الطغيان الكنسي، الذي أظلم بالحياة الأوروبية، ودفع الكثير إلى البحث عن مخرج، واتسع الصراع بين الكنيسة الطاغية ومطالب العقلاء من الناس، وقامت ثورات إصلاحية دون أن تحقق الإصلاح الحقيقي، ومع شدة الصراعات بين الكنيسة والقوى الأوروبية الجديدة، كان أحد الحلول المقترحة هو إبعاد الدين عن الدولة وعن الحياة العامة[٣]، وإبقاءه في مجال ضيق، يطلق عليه: الحياة الخاصة؛ في الاختيار الشخصي وفي البيت وفي المعابد.

ومن هنا خرج المجال العام من قبضة الكنيسة الطاغية الضالة، ولكنه خسر الدين، وتوجهت أوربا إلى العقل والمصلحة لصياغة أنظمة توجه الحياة، وما كان لها أن تقدم الجواب الشافي،

---

(١) ينظر: العلمانية: تاريخ الكلمة وصيغتها، أ.د. عبد الصبور شاهين، ص، ١٣٦ -١٣٧.

(٢) وقع اختراق لهذا الاختصاص بعد أن فتح المسلمون الأندلس، ثم لما سقطت فتح المسلمون القسطنطينية، ودخل الإسلام من جهتها نحو الشرق الأوربي.

(٣) ينظر: الفصل الأول من الباب الثاني: الطغيان الكنسي، العلمانية، سفر الحوالي، ص١٢٣ وما بعدها.



نعم قد تنفع في أجزاء ولكنها تضر في أجزاء أخرى أهم، بل وتفسد الإطار العام للحياة؛ لأنه لا يستقيم إلا بشرع الله.

وقد جاء الموقف الأوربي- والغربي عامةً- من العلمانية في مسلكين:




الأول: مسلك العلمانية الصلبة: القاسية الشديدة، وأشهر نماذجه ما طُبِّق في دولة الاتحاد السوفيتي وقت ماركسيتها، حيث كانت تمنع الدين من جميع المجالات، وتعاملت معه بقسوة شديدة، وسلكت بعض الدول الماركسية لاحقًا نفس الخُطى، وقد قلدها بعض السياسيين في العالم الإسلامي، كما فعل حزب الاتحاد والترقي وكمال أتاتورك في تركيا، وبعض الأحزاب اليسارية التي حكمت العالم الإسلامي[1].

الثاني: مسلك العلمانية الليِّنة: التي كانت حازمة مع المجال العام، ولكنها متراخية مع المجال الخاص، فكان كل أصحاب دين يقيمون طقوسهم وشرائعهم في معابدهم أو في بيوتهم، وهناك حرية متوازنة للممارسات الدينية. ولكن هذه العلمانية اللينة المتسامحة في الظاهر، قد ملأت حياة الناس في كل تفاصيلها برؤية بديلة تضبط حياة البشر، فلا يمكن أن يبقى هذا الفراغ الذي تركه الدين دون ملء، فجاءت الرؤية المادية لتملأ هذا الفراغ، وهي رؤية ناعمة

---

(١) من بين الكتب التي كشفت حجم القتل الشيوعي تحت مبدأ العلمانية: الكتاب الأسود للشيوعية، وهو يبين عنف هذا النوع من العلمانية، وفيه: أن الشيوعية مسئولة عن مقتل حوالي ١٠٠ مليون إنسان، و٢٠ مليونًا في الاتحاد السوفيتي المنهار، و٦٥ مليون في الصين، و٣ ملايين في فيتنام، ومليونان في كرويا الشمالية، ومليونان في كمبوديا، ومليون في الدول الشيوعية في شرق أوروبا،= =و١٥٠ ألفًا في أمريكا اللاتينية، و١,٧ مليونًا في أفريقيا، و١,٥مليونًا في أفغانستان. ينظر التعريف بالكتاب في موسوعة ويكيبيديا:

.https://en.wikipedia.org/wiki/The_Black_Book_of_Communism



تقوم بالتدمير الخطير حتى للمجال الخاص؛ لأن المجال الخاص- مثل الذات والبيت والمعبد- هو جزء في كل، والكل محكوم برؤية مادية، وهي مادية قاهرة تدخل بعنف معنوي في تفاصيل الوجود الواقعي، ومن ثم كان المجال الخاص ضحية هذا الترتيب العلماني؛ لأن العلمانية جردته من كل قوته، ثم أحاطته بعدو قوي متمثلًا في الرؤية المادية. فمستقبل الوجود الخاص للدين في غاية الذل في الإطار العلماني المسير برؤية مادية.




ولهذين الموقفين أبعاد فلسفية، فقد غلب على أصحاب العلمانية الصلبة: الموقف الإلحادي الصارم، وذلك على خلاف أصحاب الرؤية العلمانية اللينة، فعندهم خليط من مواقف دينية صوفية باطنية؛ مع مواقف إنسانية وقيم ليبرالية تحاول التوازن مع العلمانية.

وقد واجهت العلمانية الصلبة تحديات كبيرة، وبخاصة مع العودة الكبيرة للنشاط الديني في أوربا والغرب والعالم، ونشاهد اليوم حجم نشاط الفاتيكان، وبابا الكنيسة الكاثوليكية، بل نشاهد حجم الاحترام لرئيس الكنيسة الأرثوذكسية، في بلد العلمانية الصلبة، بل بدأ الدين يدخل في المجال العام تحت مسميات مبطنة، مع أحزاب اليمين والأحزاب السياسية المحافظة.

وقد يجد البعض في ذلك تناقضًا مع ظاهرة الإلحاد المتزايدة في ظل العولمة الفكرية والإعلامية، بينما الباحث يجد أن موجة الإلحاد الجديدة تتميز بأنها تتنافس مع موجة التدين العالمي، فهما ظاهرتان بارزتان، ويختلف الحال في هذه المرحلة عن الموجة الإلحادية التي جاءت مع نهايات القرن التاسع عشر ؛ وتلك قد تبنتها دول وأحزاب، وقد قامت العلمانية الصلبة التي تبنتها الماركسيات واليسار الثوري بقتل ملايين البشر بسبب تمسكهم بدينهم.

أما الإلحاد الحالي فهو إلحاد نشط على مستوى الإعلام والثقافة والفنون والمجتمع، ولكنه لم يتحول لإرهاب وسلطة صلبة، بل يغلب على سلطات الغرب مغازلة الكنيسة والتقرب إليها؛



وبينما كانت تلك الأحزاب تعيث فسادًا في دول أمريكا الجنوبية، وتطارد مظاهر الدين الخرافي والرجعي في مرحلة انتشار الماركسية واليسار، نجد "البابا" اليوم يتنقل بين تلك البلدان، في مواكب مهيبة، وتقام له الاجتماعات التي يحضرها آلاف البشر، مع العلم أن دعاة الإلحاد هم مستقرون في تلك البلاد أيضًا، وينجحون في تكوين الأتباع والتأثير على معتقدات الناس الدينية.




فمن الواضح أن العلمانية لم يكن لها ما يبررها في العالم الإسلامي، فليس هناك كنيسة طاغية، وليس هناك صراع بين الدين والعلم، بل على العكس، الإسلام هو ضد كل المشكلات التي أثارتها الكنيسة، بل هو أعظم من نقد النصرانية المحرفة.

ومع ذلك فقد وقع العالم الإسلامي في فخ العلمانية، وفُرضت العلمانية وقت الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي، كما أن بعض المسلمين قد اعتنقوا العلمانية، وقاموا تقليدًا للغرب بالدعوة إليها، ومكَّنهم الاستعمار من السلطة، فقاموا بفرض العلمانية على مناطق من العالم الإسلامي، وإلى اليوم هناك شرخ في العالم الإسلامي قائم بين المجتمعات المسلمة النافرة من العلمانية وبين طائفة صغيرة تمتلك القوة وتفرض العلمانية.

فكيف يتعامل المسلمون اليوم مع هذا التحدي؟

تنطلق عناصر الوعي هنا بداية ببيان خصوصية العلمانية للوضع الغربي، وببيان فشل العلمانية الصلبة، وتنازلات العلمانية اللينة بعد قناعتها بعدم إمكانية المواجهة مع الدين، وبيان حجم



عودة الدين في المجال العام في الغرب المعاصر، ومنافسته للتيارات اللادينية؛ مع مراعاة الحديث عن مفهوم "ما بعد العلمانية" الذي بدأ يظهر في الساحة الفكرية[1].

ومن عناصر الوعي المهمة هنا: توضيح المشكلة الخطيرة للعلمانية على العالم الإسلامي، والقائمة على استبعاد النظام الإسلامي عن مجالات الحياة: النظام الاجتماعي، النظام الاقتصادي، النظام السياسي، النظام القضائي، النظام الدولي، وغير ذلك، وكم خسر المسلمون بسبب غياب الإسلام عن المجال العام! بل كم هي خسارة العالم!

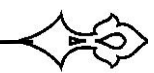


تزعم العلمانية أنها مرتبطة بالتنوير، والذي عرّفهُ "كانط" وغيره بأنه: استقلال الإنسان عن أي مرجعية خارج ذاته، فهو الذي يُشرِّع لحياته العامة، بينما الإسلام يقوم على أن الله قد أْتَمَن الإنسان على إقامة الدين في الحياة الخاصة والعامة.

ولهذا لا بد أن يُطرح الفرق بين الأديان الكتابية المحرفة والتي كانت متفقة مع مرحلة زمنية مضت وانتهت، أو الأديان الوضعية التي جاءت من أهواء البشر، وبين الإسلام الدين الحق؛ فتلك الأديان لا يمكنها أن تُقدِّم النظام النافع لحياة البشر، ومع أنها قد تقدم منافع جزئية إلا أنها لا تكفي؛ بخلاف الإسلام، الذي أكمله الله، ورضيه للناس، قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[المائدة: ٣]، فهذه الآية الجليلة

---

(١) ينظر: ما بعد العلماني: سجال مع هابرماس، خوسيه كازنوفا، ترجمة: طارق عثمان، أوراق نماء (١٤١)؛ وينظر: الفصل الثالث من كتاب العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، عبد الوهاب المسيري، ١/ ١٠١، وهو فصل مهم يتحدث فيه عن المراجعات الغربية المهمة لمفهوم العلمانية ومعنى ما بعد العلمانية، ص١١٠؛ وينظر له أيضًا: حوارات مع الدكتور عبد الوهاب المسيري، العلمانية والحداثة والعولمة، ص١٤٧؛ وله أيضًا: موسوعة اليهود واليهودية، ١/ ٢٤٢؛ العلمانية مذهبًا، مجموعة كتاب، ص٢٤.



قد أنهت الحديث عن مستقبل البشرية، فهو مستقبل مرتبط بدين كامل ونعمة تامة قد رضيها الله لنا وللناس أجمعين.

ولهذا تعد العلمانية من أكبر الأخطار على معتقد المسلم، فهي كفر أكبر؛ لأنها ترفض تحاكم المجتمع المسلم إلى الإسلام، وما جاء الإسلام إلا لإنارة حياة المجتمعات المسلمة كما هو ينير قلوب أفرادها، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الجاثية: ١٨]، فشريعة الإسلام هي مدار سعادة البشر، وهي واجبة الاتباع، بينما كل ما يعمله البشر من أنظمة مخالفة لشريعة الإسلام هي أهواء منبعها الجهل أو الجحود، فلا يعلم ما يصلح للإنسان بكل كيانه، والمجتمعات بكل مكوناتها، إلا العليم الحكيم سبحانه.



وهذا يستلزم من علماء المسلمين ومفكريهم بذل الجهد في بيان خصائص الشريعة الإسلامية، وإخراج الدراسات الرصينة في ذلك، وجمع المادة العلمية الموجودة؛ لبيان أثر هذه الخصائص على عظمة الشريعة الإسلامية، وفضلها على أنظمة البشر. وإخراج الدراسات المقارنة بين أنظمة الإسلام وبين أنظمة البشر، ومع أنه لا مقارنة بين حكم الله وبين أهواء البشر، ولكن مع ضخامة التشويه للإسلام، ومع ضخامة العماية البشرية اليوم، فلا بُدَّ مِن بيان ما تميزت به أنظمة الإسلام على الأنظمة البشرية، وما فيها من العدل والفضل، وبيان صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان، وهي مسألة عظيمة، وليس ذلك بالدعوى فقط، بل ببيان كيف يمكن لهذه الشريعة أن تستوعب المستجدات البشرية، وما سِرُّ أنها شريعة ممتدة إلى قيام الساعة؟ وما الأصول التي تجعلها قادرة على سبق المستجدات فضلًا عن تلبية النوازل؟ كما يجب علينا مواجهة حملات تشويه الشريعة، والتي زادت في السنوات الأخيرة، والرد على تلك



الشبهات، وعمل موسوعة مرتبة يرجع إليها كل متضرر من هذه الشبهات، أو كل باحث عن الحق.

ومما ينبغي تقديمه في أولويات الوعي: حماية الشريعة من العابثين بها، ومن أشهرهم في العصر الحديث طائفتان يظهر منهما محبة الشريعة، ولكنهما تجاوَزَتا في حقها:




طائفة محبة الشريعة وتريد تطبيقها كما تفهمها، وتُركِّز على الحدود منها، وتغفل عن بقية جوانبها؛ فهي تتعامل مع الشريعة بدون كمال العلم، فالشريعة أمرها عظيم، وهي بحاجة للراسخين في العلم وللمجتهدين، فليس الأمر لكل أحد، بل اليوم هناك مسائل لا ينبغي للفرد ولا للمجموعة القليلة الحديث فيها، بل هي بحاجة لجمع من العلماء والمتخصصين، حتى لا يُساء للشريعة بسبب الاجتهاد الناقص، فيسيئون للشريعة باسم تطبيق الشريعة.

وطائفة محبة للشريعة، وترى الشريعة قابلة للتطور، إلا أن التطور عندهم غير منضبط، ويرون أنها شريعة يسر، وهي حقًّا شريعة اليسر، إلا أن اليسر معهم تحول لسيلان وميوعة دون حد؛ وتحت دعوى التطور والتيسير، ومع نقص إحكام العلم بأدوات الاجتهاد، ظهر منهم تفريط في الشريعة، تكاد تضيع مع بعضهم، فلا تفرق بين أنظمة البشر وبين شرع الله، وكل ما عندهم هو وضع لباس هزيل من الدين على الأنظمة العلمانية.

أيضًا، من واجبات الوعي: العناية بتحبيب الشريعة إلى الخلق، فقد حدث نوع من إرهاب العالم من شريعة الإسلام، بل وتخويف المسلمين منها، وتم زرع الكراهية في أحكام الشريعة ونظم الإسلام في العالم، بل وفي المسلمين، وقد استُثمِر في ذلك بعض التطبيقات الخاطئة والفتاوى الشاذة، وواجب الوقت يفرض على الحكماء إعادة النظارة للشريعة، وبيان ما فيها من حكم ورحمة وفضل وعدل. ويتطلب هذا الأمر العناية بخطاب "كيف" بحجم العناية

بخطاب "ماذا"، فالشريعة ونظم الإسلام تمس حياة الناس العامة، ولا يكفي أن نبين للناس حكم الشريعة في هذه المسألة أو تلك، أو نظام الإسلام في هذا المجال أو ذلك، بل ينبغي بعد معرفة الحكم البحث عن أفضل السبل في طريقة إعلانه للناس، من خلال الخطاب الجميل والمقنع.



**القسم الداخلي: الغلو والجفاء**

إذا كان الإلحاد والعلمانية تحديان من خارج الأديان، وهما تحديان غير معروفين في التاريخ، وبخاصة في صورتها الحديثة، فإن الغلو والجفاء -التمييع- معروفان في تاريخ الأديان، فكل دين يعرف هذه المزدوجة (غلو - جفاء)؛ حيث يظهر من يقع في الغلو ثم يقابله من يقع في الجفاء، أو يأتي من يقع في الجفاء فيقابله من يقع في الغلو، وقد خص الله دينه الإسلام، وأمة الإسلام، بالوسط الذي هو العدل، فقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وعن أبي سعيد الخدري قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾ قال: "عدلًا")[1].

**أولا: الغلــو**

الغلو هو مجاوزة الحد، وقد جاء التحذير منه في نصوص صريحة؛ فقد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾[النساء: ١٧١]، وقال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ﴾ [المائدة: ٧٧]، وقد جاء الحديث عن أهل الكتاب لأنهم غلوا في الأشخاص، وجاوزوا بهم الحد، فغلوا في عيسى عليه السلام، وجعلوه ابنًا لله، وغلوا

---

(١) البخاري، رقم (٧٣٤٩)، وقال ابن حجر في كلمة "عدل": والوسط العدل هو مرفوع من نفس الخبر وليس بمدرج من قول بعض الرواة كما وهم فيه بعضهم، وسيأتي في الاعتصام بلفظ: "وكذلك جعلناكم أمة وسطا عدلًا"، فتح الباري، ٨/ ١٧٢.

في علمائهم وعُبَّادهم فجعلوهم أربابًا؛ كما قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١][(١)].

وقد ورد في السنة كذلك النهي عن الغلو؛ فمن ذلك: ما رواه ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة العقبة وهو على ناقته: "الْقُطْ لي حَصًى". فلقطت له سبع حصيات، هن حصى الخذف، فجعل ينفضهن في كفه ويقول: "أمثال هؤلاء، فارموا" ثم قال: "يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين[(٢)]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وقوله: "إياكم والغلو في الدين" عام في جميع أنواع الغلو، في الاعتقاد والأعمال. والغلو: مجاوزة الحد بأن يزاد الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق، ونحو ذلك. والنصارى أكثر غلوًّا في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف، وإياهم نهى الله عن الغلو في القرآن، في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾. وسبب هذا اللفظ العام: رمي الجمار، وهو داخل فيه، فالغلو فيه: مثل الرمي بالحجارة الكبار، ونحو ذلك؛ بناء على أنه قد أبلغ من الحصى الصغار، ثم علل ذلك: بأن ما أهلك من قبلنا إلا الغلو في الدين، كما تراه في النصارى)[(٣)].

ويظهر في هذا الحديث تنبيه النبي صلى الله عليه وسلم أمته حتى في مسائل جزئية، يستصغرها الناس عادة، ومع ذلك يحذر النبي صلى الله عليه وسلم بعبارة عامة عظيمة، فيقول: "إياكم

---

(١) ينظر: في تعريف الغلو، الموسوعة الكبيرة للدكتور عبد الرحمن معلا اللويحق بعنوان: مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر، ١/ ٢٠-٣٠، والكتاب مهم في هذه الظاهرة داخل المسلمين، وجاء في ثلاثة مجلدات، وثلاثة أبواب: الأسباب والآثار والعلاج.

(٢) سنن ابن ماجه، رقم (٣٠٢٩)، وقد صححه شيخ الاسلام في اقتضاء الصراط المستقيم، ١/ ٣٢٨.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، ١/ ٣٢٨-٣٢٩.



والغلو في الدين". وإذا كان هذا التحذير العظيم جاء في مسألة زيادة حجم الحصاة، فكيف بمن كان أمره أعظم، فوصل به الغلو إلى تعظيم الأشخاص ومجاوزة الحد بهم، كما يقع من الغلو في الأئمة أو الأقطاب، أو من يقع الغلو منه في الأحكام، فيكفِّر المسلمين ويبدِّعهم بدون علم ولا دليل، ثم يقوم بالغلو في الأعمال، بقتال المسلمين أو الغلظة معهم.




وهناك من يختزل الغلو في فعل الخوارج ومن شابههم وقلَّدهم، الذين يأخذون بالشدة، ويترك أبوابًا عظيمة من الغلو، وبخاصة الغلو في الأشخاص، وهو الذي هلكت به الأمم السابقة، كما هو عند القبوريين وأصحاب الأضرحة، ومن ثم فالغلو عام، في الأمور الجزئية التي لا يعبأ بها الناس، وفي الأمور الجليلة التي يقع بها الهلاك العظيم، فالقاعدة المهمة والأساسية التي يُعرف بها الغلو هي: مجاوزة الحد الشرعي.

والغلو بهذا المعنى قد يظهر منه أنه أقرب للعوام، وليس للنخب المثقفة، فإذا أخذنا بالجوانب العملية منه فهو أقرب لعوام الناس، ولكن التنظير للغلو إنما يكون من النخب المتعلمة، ولكنه العلم الذي لم يُبْنَ على منهج سليم أو لم يطلب بنية صالحة، فنظام الإمامة عند الشيعة مبني بعناية فائقة في التلبيس، ومثله نظام الأقطاب الصوفي، وقُلْ مثل ذلك في مقولات الغلو في الأسماء والأحكام، وغيرها، فهي مقولات نخبوية.

إلا أن مقولات الغلو التي تصنعها النخبة المتعلمة، هي نفسها مقولات الجفاء، بل وليس ببعيد عنها المقولات الفكرية مثل العلمانية، بعد صناعتهم لها، تتم الدعوة لها، فيكون الأتباع من الجميع، من المتعلمين وغير المتعلمين، ولكن درجة المعرفة بالمقولة تأخذ مستويات بحسب مستوى قدرات المستقبِل؛ العلمية والمعرفية.






وبما أن الحديث عن الغلو في الأشخاص قد سبق في مظاهر القبور والأضرحة في جانب العوام، فسيكون الحديث هنا عن الغلو في الأسماء والأحكام والأعمال، وصاحبه وإن كان يقصد زيادة التمسك بالدين والتعبد، إلا أنه قد جاوز الحد الشرعي، فخرج عن التعبد المشروع إلى التعبد المذموم، وهذا الاختيار لهذا النوع إنما هو من باب التمثيل بما هو مشهور في هذه المرحلة التاريخية، ولا يُقصد به اختزال الغلو فيه.

وتشير الدراسات الحديثة إلى أن هذا النوع من الغلو يتسع في الأديان العالمية، فهناك تصدر للمشهد من قبل التيارات المتشددة، يوجد تنامٍ لهم في اليهود المحتلين لفلسطين، ونافسوا العلمانيين والعصرانيين منهم(١)؛ وكذا هو يتنامى في الكنائس الثلاث الكبرى، الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت، فهناك حديث عن اليمين المتطرف ونجاح الأحزاب اليمينية في اقتحام المشهد السياسي، وهي أقرب مَن يمثل المتشددين الدينيين؛ وهذا الأمر أيًضا موجود في الديانات الوضعية، كما يظهر من نجاح المتشددين الهندوس على حساب العلمانيين منهم؛ بل اخترق التشدد ديانة مبنية على السلام والتسامح-فيما يزعم معتنقوها-، وهي الديانة البوذية، التي خرج منها تيار متشدد ويتعامل عكس قيمه ومعتقداته التاريخية، ويظهر ذلك في حجم اضطهادهم للمسلمين في بورما وغيرها(٢).

وقد ابتلي المسلمون بهذا الغلو، ولكنه محصور في أعداد قليلة مقارنة بعدد المسلمين، فإذا أخذنا الأشكال الواقعية لهم في مجموعات تم تصنيفها من قبل العالم أنها منظمات إرهابية، فنجد الحديث عن أعداد لا تتجاوز العشرين ألف، فهذا العدد لا يشكل شيئًا مع أمة بلغ عددها

---

(١) ينظر: الدراسة المهمة: الصراع الديني في إسرائيل بين العلمانيين والأصوليين، د. أحمد عبد الخالق.

(٢) ينظر: الأصوليات المعاصرة: أسبابها ومظاهرها، روجيه جارودي، مع وجود بعض بعض المشكلات في تناوله للإسلام.



مليارًا وستمائة مليون مسلم. ومع قلة العدد إلا أنها تمثل مشكلة خطيرة للمسلمين، فهم من جهة يشوِّهون صورة الإسلام، فيُستغل من خصوم الإسلام، فيعيقون نشاط دُعاته في العالم، كما أنهم أضروا بالمسلمين بما يفعلون من جرائم بحق البيت الإسلامي.





فنحن لا ننظر للعدد فقط، بل ننظر لضخامة الانحراف وآثاره وأخطاره، وهي التي بحاجة لوعي فكري: لمعرفة أسبابها، وآثارها، وطرق توقيها، وطرق معالجة المتورطين بها، وهي مسائل مرتبطة بالوعي الفكري.

### ثانيًا: التمييع والجفـــاء

كما أن هناك من يظن أن غلوه وتشدده وإضافاته قد تمثل التدين الصادق، فهناك من يختزل الدين في معانٍ قليلة تكفي صاحبها، وتكفي المجتمع المسلم، وقد كانت صورته التقليدية في العالم الإسلامي مرتبطة بمقولة الإرجاء، وأصبح لها صورة عصرية، يضع البعض لها اسم العصرانية، وإن كنت لا أفضل هذه التسمية.

وحقيقة هذا الموقف منهجية، ترتبط بالجفاء الذي تحدث عنه السلف، والجفاء يقوم على التملص والتفلت من التكاليف، ولكنها تأخذ عند المعاصرين صورة احترافية خطيرة.

وأصل هذا الموقف -كما الموقف الغالي- يقوم على حب للدين ورغبة فيه، ولكن الأول تصور هذه المحبة في التشدد أو الزيادة أو التبديل بما يتجاوز الحد، وهذا الجافي تصور هذه المحبة في تشكيل الدين وفق ما تهواه النفس، وبما تستطيع القيام به وفق الهوى، وبما لا يقع معه أية مشقة. وقد جعله بعضهم محصورًا في فعل القلب واعتقاده، ومن تحقق عنده ذلك فهو عندهم مؤمن كامل الإيمان، وإن كان مظهره غير مرتبط بالعمل الشرعي الواجب.



وصورته العصرية جاءت من جرَّاء مواجهة تحديات العصر، ولكن الأداة لمواجهة هذه التحديات لم تكن جيدة، فوقع التوسع في مسلكين منهجيين، وهما: التأويل والتيسير، التأويل في مسائل العقائد والأخبار والغيبيات، والتيسير في مسائل الأحكام والعمليات؛ وهما مصطلحان يتوجهان بحسب رؤية المستعمل لهما، فعندما تكون الرؤية صحيحة، فهما يعملان بشكل جيد، وعندما تكون الرؤية ضبابية غير واضحة، يقع بهما انحرافات كبيرة.



وقد صاحب هذه الرؤية الجافية حركة فكرية متأثرة بالعلمانية، وحالها كمن يقول: إن المجتمع هو مؤمن كامل الإيمان مهما وقع منه من انحراف؛ على غرار الفرد الذي هو مؤمن كامل الإيمان مهما وقع منه، ما دام مقرًّا ومصدقًا. فيفرغ المجتمع من مظاهر الدين كما تم تفريغ الفرد من العمل، وقد قام هؤلاء المتأثرون بالرؤية العلمانية باستغلال أصحاب منهج التيسير الفوضوي لإفراغ المجتمع من روح الشريعة الإسلامية بحجة مواكبة العصر، وبدل أن تُقاد الحياة بالشريعة أصبحت الشريعة تُطوَّع للمستجدات وتفرغ من مضمونها ومحتواها.

لقد تشكلت علاقة مشبوهة بين الإرجاء المعاصر العالمي والعلمانية الناعمة والتصوف الرقيق؛ وهذه العلاقة تسهم في إفراغ الدين من جوهره الحقيقي، وتشكل تدينًا هشًّا، بل ربما ينشأ منها ما يسمى بإسلام الموضة والسوق، وغيرها من الظواهر الشاذة حول الدين.

ومما يعجب منه: تذرع هؤلاء المتأثرين بالعلمانية بالتطور الذي قام في الأديان العالمية، حيث نجحت في تكييف الدين مع الحضارة الحديثة، مع أن الحضارة الحديثة التي قادها الغرب حضارة ملغومة، فهي من جهة: حضارة دنيوية مبهرة في منتجاتها المادية، ولكنها من جهة أخرى أيضًا: متشبعة برؤية مادية تفتك بكل المعاني الإيمانية والدينية لمن غفل عن ماديتها؛ وهذا الأمر قد تنبه له مفكرون كبار، وبعضهم كان يومًا ما متحمسًا لهذه الحضارة أيما تحمس، ثم اكتشف عقيدتها المادية العميقة؛ على غرار البحوث المعمقة لمالك نبي أو عبد الوهاب

المسيري أو علي عزت بقوفيتش أو طه عبدالرحمن، وغيرهم؛ ومن ثَم فإخضاع الإسلام لهذه الحضارة بعقيدتها الخفية- بل الظاهرة أيضًا- يقلب معادلة مهمة الدين الحق في الحياة، وهي استخراج البشرية من النظرة الأفقية للعالم المادي المحسوس إلى السماء والاستجابة لأمر الله؛ وأما الأديان الأخرى فلم يكن تكيفها إلا بسبب فقْدِها لما هو قادر على توجيه البشرية، ومن ثَم فليس أمامها سوى التنازل لضغط الحضارة المادية الحديثة للمحافظة على وجودها.



وأديان العالم اليوم متأثرة بقدرة العلمانية على توظيف قيادات دينية من أهل الجفاء في تطويع الدين للرؤية العلمانية، وهي مؤهلة للنجاح؛ لأن هذه الأديان لم تعد تملك الجواب الحق لمشكلات العصر، فهي إما أديان أصلها حق، ولكن ما بقي فيها من الحق فهو منسوخ بالإسلام، مع ما طالها من التحريف؛ أو هي أديان نشأت من صنع البشر، وما صنعه البشر في هذا المجال لا يمكن بأي حال أن يكون قادرًا على إنقاذ الروح؛ فلم يبق سوى الإسلام وأهله للقيام بهذه الأمانة. ولكن العلمانية قد نجحت في الزحف على المجال العام وفرغته من الدين، واستعانت في ذلك بأهل الجفاء في تقليص وجود الدين في المجال العام، فعندما تضع العلمانية نظامًا اقتصاديًّا وفق أهواء البشر، ثم نجدها تشتمل على قوائم من المحرمات الدينية: من أكل المال الحرام والربا والميسر والقمار وأخذ المال بالباطل، فإن لم تنجح في فرض هذه الأنظمة بالقوة، فإنها تتوسل ببعض رموز الجفاء ليضعوا مخرجًا يُكَيِّف هذه المعاملات المحرمة؛ لتصبح مقبولة باسم الدين، تحت ذرائع شتى، وأدوات منهجية ذات أصل شرعي لكنها توظف بطريقة غير شرعية، مثل (المصالح المرسلة) و(تغير الفتوى بتغير الأزمان والأمكنة والأحوال)، وغيرها.




## خاتمة التحديات:

لا شك أن الأمة المسلمة في معركة وعي كبرى أمام هذين التحديين الكبيرين: الغلو الذي يُظهر تطبيقاته على أنها من الدين وهي في الحقيقة من البعد عنه بمكان، وأخطرها ذلك الغلو الذي يصرف العباد عن عبادة الله إلى التعلق بغير الله، وذلك الغلو الذي يأخذ بمسار التشدد حتى يهلك نفسه وغيره؛ والجفاء والتمييع الذي يفرغ الدين من محتواه المنير والهادي ومسبب الحياة للأفراد والأمم.

والواجب أمام هذين التحديين التزام الوسط، فهو سبيل النجاة، وخاصية هذا الدين، وخاصية هذه الأمة، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

قال ابن عاشور رحمه الله: (وقوله: ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ ﴾ علة لجعلهم وسطًا، فإن أفعال الله تعالى كلها منوطة بحكم وغايات لعلمه تعالى وحكمته... و ﴿ ٱلنَّاسِ ﴾ عام، والمراد بهم الأمم الماضون والحاضرون، وهذه الشهادة دنيوية وأخروية. فأما الدنيوية فهي حكم هاته الأمة على الأمم الماضين والحاضرين؛ بتبرير المؤمنين منهم بالرسل المبعوثين في كل زمان، وبتضليل الكافرين منهم برسلهم والمكابرين في العكوف على مللهم بعد مجيء ناسخها وظهور الحق، وهذا حكم تأريخي ديني عظيم إذا نشأت عليه الأمة نشأت على تعود عرض الحوادث كلها على معيار النقد المصيب.

والشهادة الأخروية هي ما رواه البخاري والترمذي عن أبي سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يُجاء بنوح يوم القيامة فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم يا رب، فتُسأل أمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما جاءنا من نذير، فيقول الله: مَن شهودك؟ فيقول: محمد وأمته،

فيجاء بكم فتشهدون". ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال: "عدلًا "، ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾.

فقوله: "ثم قرأ" يدل على أن هذه الشهادة من جملة معنى الآية لا أنها عين معنى الآية، والظاهر من التعليل هو الشهادة الأولى؛ لأنها المتفرعة عن جعلنا أمة وسطًا، وأما مجيء شهادة الآخرة على طبقها فذلك لما عرفناه من أن أحوال الآخرة تكون على وفق أحوال الدنيا قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه: ١٢٤ - ١٢٦].

ومن مكملات معنى الشهادة على الناس في الدنيا وجوب دعوتنا الأمم للإسلام، ليقوم ذلك مقام دعوة الرسول إياهم حتى تتم الشهادة للمؤمنين منهم على المعرضين. والشهادة على الأمم تكون لهم وعليهم، ولكنه اكتفى في الآية بتعديتها بـ"على" إشارة إلى أن معظم شهادة هذه الأمة وأهمها شهادتهم على المعرضين؛ لأن المؤمنين قد شهد لهم إيمانهم، فالاكتفاء بـ"على" تحذير للأمم من أن يكونوا بحيث يشهد عليهم، وتنويه بالمسلمين بحالة سلامتهم من وصمة أن يكونوا ممن يشهد عليهم، وبحالة تشريفهم بهاته المنقبة؛ وهي إثقاف المخالفين لهم بموجب شهادتهم)[١].

كانت هذه أهم التحديات الفكرية التي تواجه الإسلام، وتواجه الدين: الإلحاد والعلمانية، والغلو الجفاء؛ وهناك نوع آخر مرتبط بهذه المرحلة التاريخية، وهو تحدٍّ سياسي ولكنه يستخدم البعد الفكري في نشاطه السياسي، ويتمثل في تحرك قوى غربية لمواجهة الإسلام تحت دعاوى



(١) التحرير والتنوير، ٢/ ٢٠-٢١.

مختلفة، وأهمها دعوى التطرف والإرهاب، فهناك بحوث سياسية تخرج بنتائج سلبية حول علاقة الغرب بالعالم الإسلامي، وكان من أشهرها: "نهاية التاريخ وخاتمة البشر" لفرانسيس فوكايا، و"صدام الحضارات" لصموئيل هنتنغتون، والنتيجة التي يمكن الخروج بها من هذين الكتابين والمدرستين: أن الصراع بين الغرب والعالم الإسلامي هو صراع حتمي أو لا بد منه[1]. ثم تأتي جهة أخرى مثل مؤسسة "راند" البحثية لتقدم مشروعًا أخذ شعبية كبيرة، سنة (٢٠٠٧)، بعنوان: "تكوين شبكات إسلامية معتدلة"، ويقوم على إدارة المواجهة مع الإسلام بداية بالجانب الفكري والثقافي، بل إن القضية المركزية في هذا التقرير هي الجانب الفكري والثقافي، ويقوم على الدعوة لبناء مسلم جديد معتدل، وعندما نقرأ مواصفات هذا المسلم نجده مسلمًا بدون إسلام، فهو مسلم منسجم مع قيم العلمانية[2]، وعادة ما تتحدث الدراسات عن ثلاثة ظواهر اشتهرت بعد أحداث سبتمبر: ظاهرة الإلحاد الجديد[3]، والقاعدة وزميلاتها، نشاط المراكز الغربية لاقتراح إسلام معتدل.



---

(١) ينظر: صدام الحضارات، هنتنغتنون، ص٣٧٠-٣٨٣؛ وهناك دراسة مميزة في تتبع هذا المفهوم "صدام الحضارت" وكشف تاريخ وما يخفي للدكتور محمد العربي عزوز بعنوان: زمن هنتغتن؛ صدام الحضارات ونهاية التاريخ.

(٢) ينظر: استراتيجيات غربية لاحتواء الإسلام: قراءة في تقرير راند ٢٠٠٧، د. باسم خفاجي، المركز العربي للدراسات الإنسانية، عدد ٤، ١٤٢٨هـ، وتقرير "راند" مترجم بعنوان: بناء شبكات إسلامية معتدلة؛ وينظر: الإسلاميون ومركز راند: قراءة في مشاريع الاعتدال الأمريكي، بلال التليدي ود. عادل الموسوي، وتحدث فيه عن تقريرين لراند، ثم دراسة لبقية المؤسسات المشابهة له.

(٣) ينظر: الإلحاد للمبتدئين، د. هشام عزمي، ص٢٠.

وهذا النوع من التحدي تكمن خطورته في قدرته على استخدام الوسائل الناعمة والصلبة في تحقيق أهدافه، ومن ثم فمطلب الوعي بحاجة لتحليل مثل هذه الدراسات التي تواجه الإسلام والمسلمين، وبيان مخاطرها، والطرق الفكرية والعلمية لمواجهتها.









## المبحث الخامس

## جدل العلاقة بين الأديان

فيما سبق ظهر لنا أن الوعي يوجه الطاقات لأعظم الأولويات وأنفع الأعمال، وأعظم الوعي في مجال عالم الأديان هو فن دعوة أهل الأديان، وسنزيد هذا الأمر حديثًا لأهميته من خلال الوعي بطبيعة علاقتنا بالأديان وأهلها؛ محاولين الإجابة عن هذه التساؤلات: ما جوهر علاقتنا بالأديان وأهلها؟ وكيف نصنعها؟ وكيف نتعامل مع أنواع العلاقات المختلفة؟

موضوع العلاقة بين الأديان من الموضوعات الشائكة، وعلاقة الأديان بالحياة بعامة والمجال العام بخاصة من أكثر الموضوعات نقاشًا في عصرنا، واهتمام العالم بذلك يدل على أهمية الموضوع وخطورته، وهو يدل على وعي عالمي كبير بحجم الدين في حياة الناس؛ إضافة إلى البحث عن سند فكري وعلمي ومصلحي براجماتي لهذه العلاقة.

ويعد موضوع العلاقة بين الأديان أيضًا من الموضوعات الشائكة في الماضي والحاضر، وازداد الحديث عنها اليوم، وبخاصة مع بعض صور الطرح العالمية القائمة على مفهوم صراع الحضارات[1]. فجاء البحث عن خيارات أخرى للتأمل في العلاقة بين الأديان، ومنها التحول من الصراع للحوار أو غير ذلك من المقترحات.

ومن بين أعظم الإشكاليات المثارة اليوم: العلاقة بين الأديان من جهة، وبين الانتماء للأديان وغيرها من الانتماءات من جهة أخرى. فمن المعلوم أنه ما من انتماء: دينيًّا كان أو غير ديني، إلا وهو يملك مفهومه للعلاقة الداخلية بين ساكني هذا الانتماء، والتي تقوم على الحب والولاء، ومفهومه للعلاقة الخارجية بمن هم خارج انتمائه- بطبيعة الحال- تقوم على الحذر

(١) ينظر: الإسلام والإعلاموفوبيا، ص٦٣، ص٧٣.



والانتباه، وقد يصاحبها الكره والمعاداة، وذلك بحسب المشكلات التي ترتبط بالآخر، فقد يكون ذلك الآخر مسالمًا ومتسامحًا، وقد يكون معاديًا ومحاربًا.

وقد وقع جدل كبير حول هذا الموضوع، وتُطرح مصطلحات ومفاهيم كثيرة، ويمكن أن نعيدها لثلاثة أقسام:



الأول: نموذج الصراع

الثاني: نموذج الوحدة

الثالث: نموذج الاختلاف

فالنموذج الأول يقوم على مسلمة في غاية الأهمية وهي أن من طبيعة الأديان عدم قبول الآخر، ومن ثم فهي قائمة على الصراع، كما أن لبعضهم بعدًا فلسفيا آخر، يقوم على أن الصراع هو أساس الوجود، وأخذ بعضهم سنده من النظرية التطورية الدارونية ومن الجدلية المادية، ويعزز هذا النموذج استمرار الصراع بين الأديان والحضارات، وقد أخذ هذا المفهوم طاقة جديدة بعد دراسة الأمريكي "هنتنجتون" الشهيرة بعنوان: "صدام الحضارات". ومن يَتَبَنَّ هذا النموذج فهو مستعد دائمًا لشن الصراع وتبريره، يقول: (طالما أن الإسلام يظل – وسيظل– كما هو الإسلام، والغرب يظل –وهذا غير مؤكد– كما هو الغرب، فإن الصراع الأساسي بين الحضارتين الكبيرتين وأساليب كل منهما في الحياة سوف يستمر في تحديد علاقتهما في المستقبل، كما حددها على مدى الأربعة عشر قرنًا السابقة)[1].

(١) صدام الحضارات، صموئيل هنتغتتون، ص٣٤٣؛ وينظر: دراسة حول هذا الكتاب: صدام الحضارات محاولة للفهم، د. عبد الرزاق مقري.



أما النموذج الثاني، فيقوم على التقريب بين الأديان أو دمجها وفق نموذج يحاول جمعها في ديانة مشتركة، وقد أخذت صورة نشيطة في القرن الأخير[1]، وقد رصد د. القاضي أكثر من ثلاثمائة مؤتمر غير النشاطات الأخرى والمراكز والكتابات في هذا المجال، وخرج بثلاث صور لها، وهي: التقريب بين الأديان، ويقوم على صناعة حوار بينها وتخفيف الصراع بين أتباعها، ووحدة الأديان، وهو مع اعترافه بصحة جميع المعتقدات إلا أنه يطالب من أجل التقريب بالتنازل عن بعض السمات الخاصة، ويقوم عليه الباطنيات الدينية وأهل وحدة الوجود، ومن مشاريعه المشهورة ما قام به "رجاء جارودي"، وتحدث عن وحدتين: صغرى تقوم بين أتباع الديانات الإبراهيمية، وكبرى تجمع كل الديانات بما فيها الملحدة، لأن الجامع بينها هو الإنسان؛ وتوحيد الأديان، وهي المحاولات الساعية لدمج الأديان في دين واحد[2].



النموذج الثالث: نموذج الاختلاف، وهو نموذج في صورته المتطرفة يقوم على نسبية الحقيقة، بل لا توجد حقيقة، وإنما هناك اختلاف وتعدد وتنوع، ونجد صورتها الحديثة مع "جاك دريدا" وفلاسفة ما بعد الحداثة وفلاسفة التفكيك، الذين يدعون لإلغاء المعنى الثابت، فما هناك دال ومدلول، نص ومعنى، وإنما هناك نصوص وكلمات ولغات دون معنى ثابت، المعنى متغير، وليس له قرار؛ لأنه متغير دون نهاية، ومن ثم فلا أحد يملك الحقيقة، كل موقف هو صواب؛ بشرط أن لا يحتكر دعوى الصواب[3].

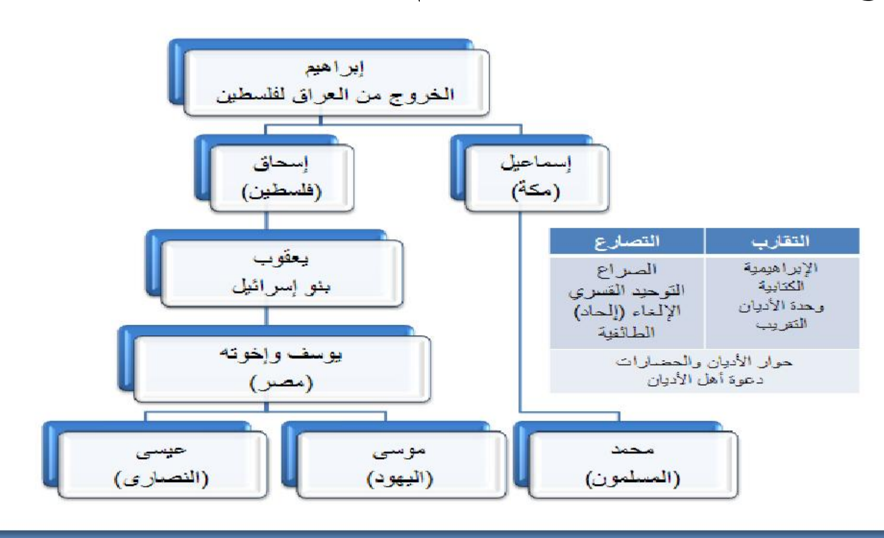
(١) ينظر: دعوة التقريب بين الأديان، د. القاضي، ١/ ٣٣٣.

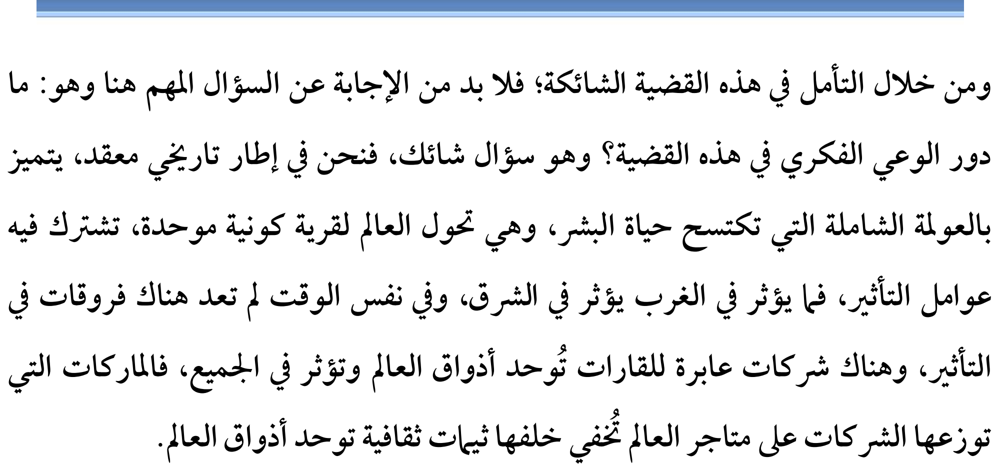
(٢) ينظر: المرجع السابق، ١/ ٣٣٤- ٣٣٥.

(٣) ينظر: ما بعد الحداثة، د. باسم خريسان، ص٢٩٧-٣٠٩.



نموذج العلاقة بين الأديان الكتابية ودين الإسلام:



ومن خلال التأمل في هذه القضية الشائكة؛ فلا بد من الإجابة عن السؤال المهم هنا وهو: ما دور الوعي الفكري في هذه القضية؟ وهو سؤال شائك، فنحن في إطار تاريخي معقد، يتميز بالعولمة الشاملة التي تكتسح حياة البشر، وهي تحول العالم لقرية كونية موحدة، تشترك فيه عوامل التأثير، فما يؤثر في الغرب يؤثر في الشرق، وفي نفس الوقت لم تعد هناك فروقات في التأثير، وهناك شركات عابرة للقارات تُوحد أذواق العالم وتؤثر في الجميع، فالماركات التي توزعها الشركات على متاجر العالم تُخفي خلفها ثيمات ثقافية توحد أذواق العالم.

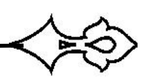
فمع هذه العولمة، وإطار التحولات الكبيرة، وتقارب الناس والثقافات والحضارات، كيف يمكن للوعي الإسلامي أن يضع رايته –بشأن موضوع العلاقة مع الأديان– في هذه المرحلة؟

وإذا أخذنا نموذج العلاقة بين الديانات الكتابية مع الإسلام، وهو نموذج فيه كل النماذج الثلاثة السابقة، بما في داخلها من نماذج فرعية، فإن موقفنا الواعي لا يقوم على شيء منها، ففي هذا العصر وفي ضوء خصائصه الحالية: هناك مسارٍ ينبغي أن يكون هو أولى الأولويات






للمسلمين، ألا وهو دعوة أهل الأديان؛ وذلك أنها هي المصرح بها في الوحي، وهي الأمانة التي تحملها المسلمون، وهي واجبنا الحقيقي نحو العالم؛ كما أن هذه المرحلة التاريخية تعطينا فرصة مهمة لبذل الدعوة للإسلام، فهناك مليار ونصف مسلم في كل قارات العالم، وهم قادرون إذا وعوا رسالتهم أن يبلغوا دين الإسلام للعالم؛ فهو الدين المتسم بالوضوح من بدايته؛ فهو لا يقوم على الإكراه، قال تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾[البقرة: ٢٥٦]، وهو الدين الذي امتلك أصحابه توجيهًا ربانيا محكمًا لا محيد للمسلمين عنه، قائم على الدعوة الحسنة وبالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل: ١٢٥]، ومع هذه الأصول المنيرة لكل مسلم، يأتي التوفيق الرباني لكل من بذل الدعوة لهذا الدين، ومنح الأجر الكبير لمن سار في هذا الطريق، كما أن أصحاب هذا الطريق يكسبون ولا يخسرون، ويقدمون للعالم الخير الكبير الذي لا خير فوقه.






## المبحث السادس

## الدين عندما يدرسه غير أهله

من الطبيعي أن يكون أصحاب العناية بالدين هم أهله، ومن ثَم تكونت العلوم الدينية في كل دين، وتسمى العلوم النقلية، يقول ابن خلدون في "مقدمته": (وهذه العلوم النقلية كلها مختصة بالملة الإسلامية وأهلها وإن كانت كل ملة على الجملة لا بد فيها من مثل ذلك؛ فهي مشاركة لها في الجنس البعيد؛ من حيث إنها العلوم الشرعية المنزلة من عند الله تعالى على صاحب الشرعية المبلغ لها. وأما على الخصوص فمباينة لجميع الملل لأنها ناسخة لها. وكل ما قبلها من علوم الملل فمهجورة والنظر فيها محظور. ثم إن هذه العلوم الشرعية قد نفقت أسواقها في هذه الملة بما لا مزيد عليه، وانتهت فيها مدارك الناظرين إلى الغاية التي لا شيء فوقها، وهذبت الاصطلاحات ورتبت الفنون، فجاءت من وراء الغاية في الحسن والتنميق)[1].

ففي الإسلام كان علم العقيدة مختصًّا بدراسة العقائد والأديان والملل والنحل، ولكن الدين ككل نجده موزعًا في علوم كبيرة، وبخاصة علوم الملة الأربعة: العقيدة والفقه والتفسير والحديث، وتميزت علوم الدين الإسلامي بعلميتها ومنهجيتها الصارمة، التي تُجنبها دخول أهواء حامليها، فقد حفظ الله هذا الدين، ورزقه بوجود طائفة قائمة على الحق إلى قيام الساعة، وبمن يبعثه الله على رأس كل مئة سنة فيجدد الله به الدين، وهذا الأمر لم يتحقق في بقية الأديان.

والأمر أيضًا في بقية الأديان من جهة وجود علوم دينية تَدْرس دينهم بخاصة وبقية الأديان بعامة، ولكن هذه العلوم مُخترقة بأهواء أصحابها، وإذا كان أحسنهم حالًا أهل الكتاب، ومن

(١) مقدمة ابن خلدون، ٣/ ١٠٢٥-١٠٢٦.




ثم جاء الإسلام بتخصيصهم بمعاملة لا تكون لغيرهم، إلا أن القرآن قد بيَّنَ لنا فساد علومهم وحملة هذه العلوم، قال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [النساء: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾ [المائدة: ١٣].



وفي العصر الحديث – وفي داخل الفكر الغربي بخاصة- ظهرت مجالات علمية وفكرية تهتم بدراسة الدين، وهي من غير المتدينين، وبعضها قديم، مثل الفلسفة، إلا أن مباحثها الدقيقة لم تأخذ حظها من التفصيل سوى في الفلسفة الحديثة، وأما الجديد منها فأهمها: علم النفس، وعلم الإنسان، وعلم الاجتماع، حيث ظهر في هذه العلوم مجالات مختصة بالدين، فيقال: علم النفس الديني، وعلم الاجتماع الديني[(١)]، وقد ذكر "مسلان" في كتابه: "علم الأديان" ثلاث مراحل في الفكر الغربي في دراسة الدين: العالم القديم الذي شهد ظهور الفكر الفلسفي وما ساهم به في صياغة وعي نقدي بالمسائل الدينية. ثم العقلانية الحديثة والمسارات التي أفرزتها. وأخيرًا بداية ظهور العلوم الإنسانية منذ القرن التاسع عشر[(٢)]، ويلاحظ هنا إغفاله للدور الإسلامي المهم في صناعة وعي عميق بمكونات الدين. ويغلب على الباحثين فيها أنهم من العلمانيين، بل ربما من الملاحدة، ويدرسون الدين كظاهرة نفسية أو كظاهرة اجتماعية، أو يدرسونه وفق نظرياتهم المتكاثرة والمتناقضة[(٣)].

---

(١) ينظر: مدخل فلسفة الدين، عثمان الخشت، ص٣٦؛ دراسة نقدية في فلسفة الدين، أديب صعب، ص١٥٥؛ علم الأديان، جيب ود. العوا، ص٥٧.

(٢) ينظر: علم الأديان، مسلان، ص٢٩.

(٣) ينظر: تنبيه "أديب صعب" لقيام بعضهم بدراسة الدين وفق منظور جزئي مثل منظور "فيورباخ" أو منظور "فرويد" ومشكلات ذلك، الأديان الحية، ص١٠.



وقد تحمس بعض العلمانيين في العالم الإسلامي لهذه العلوم، وبادروا بامتداح قدرتها على دراسة الدين دراسة موضوعية أكثر من العلوم الدينية وأهلها(١)، بينما الحقيقة أن الأمر هو مجرد دعوى تقوم على منابذة الدين.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية

فهناك مثلًا ما يقرب من أربعة عشر موضوعًا تهتم به فلسفة الدين(٢)، وهي موضوعات من صلب اهتمام علم العقيدة، ولكن في فلسفة الدين يُنظر لها من منظور عقلي علماني دون الاستناد للوحي، ويختلط فيها من يؤمن بالله ويتبع دينًا ما وبين غير المتدين أو الملحد، وهذه قائمة بهذه الموضوعات: (ماهية الدين، وجود الله، مشكلة الشر، الإيمان والعقل والقلب، الوحي والإيمان، المعجزات والكرامات والخوارق، الخلود والبعث والقيامة، الدين والعلم، المعرفة الدينية، الدين والأخلاق، التعددية الدينية، لغة الدين، الهرمنيوطيقا)(٣).

ومطلب الوعي هنا يدعونا لبيان بعض المواقف المهمة وبخاصة لمن يتخصص في هذا المجال، وهو مجال واسع، وطلبًا للاختصار عزمت على الاقتصار على أربعة منها:

الأول: أن هذه العلوم لا تخلو من جوانب علمية ومنهجية صحيحة، ولكنها تنطبق على ما هو إنساني ومن صنع الإنسان، ومن ثم فهي صحيحة عندما تُطبق على الأديان الوضعية والمحرفة والفرق المبتدعة في الدين، وذلك لأنها ليست ربانية، وإنما هي مما صنعه البشر، أو هي من تحريف البشر لما أصله رباني، ومن ثم فيمكن تطبيق بعض ما صح من هذه العلوم على هذه

---

(١) ينظر مثلًا: أعمال محمد أركون وتعليقات مترجمه للعربية: هاشم صالح؛ وينظر حول المرجعية الأركونية: نقد العقل الإسلامي عند محمد أركون، د. مختار الفجاري، ص٤٩-٥٨.

(٢) حول نشأة هذا المجال وأهم مفكريه، ينظر: مدخل فلسفة الدين، عثمان الخشت، ص٥١ وما بعده.

(٣) ينظر: مقالة: فلسفة الدين: رؤية موجزة لمفهومها واتجاهاتها ومباحثها د. عبد الجبار الرفاعي، على موقع "مؤمنون بلا حدود"؛ وينظر: فلسفة الدين، أديب صعب؛ مدخل في فلسفة الدين، عثمان الخشت، ص٣٥.



الأديان والعقائد، وذلك لكونه منهجًا بشريًّا على ديانة وضعية من صنع البشر، مع أخذ الحيطة لما فيها من غلو ضد الدين؛ أما عند إخراجها من المجال البشري، وتطبيقها على دين رباني، وهو دين الإسلام، عندها يقع الانحراف المنهجي، وتفقد تلك الأدوات مقدرتها المنهجية.

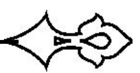


الثاني: أن هذه العلوم قد غلب على صانعيها أنهم من الملاحدة، أو من أصحاب التوجه العلماني الذي يقول أصحابه بنزع القداسة عن العالم وعن الدين[1]، والدراسات الحديثة تؤكد غياب الموضوعية الحقة عند أصحاب النزعة العلمانية والإلحادية، وبخاصة في دراستهم للدين، فهم ينطلقون من مسلَّمات تفسد نظرياتهم وتهدم مزاعمها الموضوعية والعلمية؛ ومن ثم فمطلب الوعي هنا يُحتم متابعة آثار الإلحاد أو العلمانية في خطابهم الفلسفي والنفسي والاجتماعي والإنساني، وبيان خطورته وعدم موضوعيته والخلل المنهجي العميق الذي بداخله.

الثالث: وهو خاص بالمسلمين، وهو أنه مع العلوم السابقة: الفلسفية والإنسانية والنفسية والاجتماعية، وهناك علم آخر مختص بدراسة الشرق بعامة والإسلام بخاصة هو الاستشراق، وهم يدخلونه في قائمة العلوم، ولكن الدراسات النقدية المعاصرة، ومن قبل مفكرين غير منتسبين للإسلام، كإدوارد سعيد مثلا، كشفت حجم الأيدلوجيا الموجهة لهذا التخصص، والتي حولته من مجال علمي كما يزعم دعاته إلى أداة تضليل وتشويه لحقائق الإسلام، وأكبر المشكلات تكمن في كونه أصبح الوسيط بين الإنسان الغربي وبين الإسلام، فمن أراد معرفة

---

(١) ذكر "ميشال" معالم عن هذه العلوم من سعيها لإلغاء القداسة، والتخلص من الوعي الديني، وإلغاء الإنسان المتدين، ماسلان، ص١٠٣، وتحدث عن خمسة علوم: الاجتماعية (ص١٠٥) والنفسية (ص١٤١) والظواهرية (ص١٧٠) والألسنية (ص١٨٦) والبنيوية (ص٢٠٥).

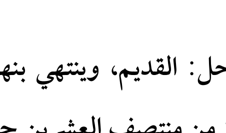


الإسلام ذهب للاستشراق الذي يتحدث بلغاتهم، ولكنه ينقل صورة مزيفة ومشوهة عن الإسلام[1].

الرابع: للأسف تظهر دراسات داخل المجال الإسلامي حول الدين تسهم في توجيه البحوث والنشاط الفكري نحو مسار بارد مفصول عن همِّ رسالة الإسلام، وكأنه يُشترط في دخولنا للحداثة أن ندرس الدين بدم بارد، وبعاطفة جامدة، وعقلية مجردة، وكأننا ندرس حشرة في غابة أو جبل في جزيرة، وكأن الأمر مرتبط بنجاة البشرية وهداية الخلق، ومن الأمثلة على ذلك ما نجده في كتاب جماعي شارك فيه أكثر من أربعين باحثًا عربيًّا بعنوان: "فلسفة الدين: مقول المقدس بين الأيدلوجيا واليوتوبيا وسؤال التعددية"، فماذا يخرج به القارئ المسلم لهذه المشاركات؟ وهذا النوع من الدراسات يُعطل العقل المسلم عن واجبه الأعظم في حمل الإسلام للعالمين، بل نجد في المقدمة هدفا مريضًا يزيد من التيه الفكري من مثل قولهم: "البحث عن عاصم لا إلهي"؛ وهو العاصم العلماني، وأن الأديان مطالبة أن تجيد التعامل مع العلمانية؛ وهي الصورة المخلة لتاريخ الأديان [2].

مجلة كلية الدراسات الإسلامية

وأمام هذا المجال الناشط في المجال الفكري والثقافي العلماني نحن بحاجة لإحياء المنهج القرآني في دراسة الأديان، فقد جاء الحديث عن الأديان في سور وآيات، اليهود والنصارى والمجوس والمشركون والصابئة، والمنافقون والدهريون، وأعمالهم وانحرافاتهم، ودعوة الأنبياء لهم[3].



(١) ينظر حول الاستشراق الجديد، عبد الله الوهيبي، حيث قسمه لأربع مراحل: القديم، وينتهي بنهاية القرن الثامن عشر، الثانية: من التاسع عشر حتى منتصف العشرين، الثالثة: من منتصف العشرين حتى بداية الحادي والعشرين، والرابعة: بعد أحداث ١١ سبتمبر، وخصص مبحثًا لصور النقد حول الاستشراق الجديد، ومن ضمن هذه المنتجات التي تسهم بتوجيه السياسة الغربية والرأي العام الغربي الكتاب المشهور لبرنارد لويس، أزمة الإسلام: الحرب الأقدس والإرهاب المدنس، والذي يسير في موقفه من الإسلام نفس مسارات التشويه السابقة.

(٢) ينظر: فلسفة الدين: مقول المقدس بين الأيدلوجيا واليوتوبيا وسؤال التعددية، مؤلف جماعي، ص٨-٩.

(٣) ينظر: موجز الأديان في القرآن، د. عبد الكريم زيدان؛ الأديان في القرآن، محمود بن الشريف.



# المبحث السابع
## الإسلام "مفكراً" فيه

هناك طرح لمصطلحات تُعرف بمستويات التفكير وأنواعه في الدراسات المعاصرة، ومنها هذه الثلاثة: المفكر فيه، اللامفكر فيه، المستحيل التفكير فيه(١)؛ ونضع تقريبًا لها بما يفيدنا في هذه الفقرة المهمة.



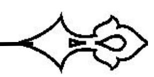

فالمفكر فيه المراد به: تلك الموضوعات الحاضرة أمام الذهن، ويشتغل عليها الوعي الحالي، فالناس يفكرون فيها، وربما هي مدار اهتمامهم أو اعتقادهم أو عملهم أو انتباههم، فلو كان هناك عاصفة مدمرة، وهي تقطع المسافات نحو مدينة ما، وهذه المدينة عندها خبر بأن الإعصار سيصلهم بعد ثلاثة أيام، ثم هم يشاهدون ما أحدثه من دمار في المناطق التي مر بها قبلهم عبر الإعلام، فإن جميع أهل المدينة يفكرون في موضوع الإعصار ويتحدثون عنه ويتابعون أحداثه لحظة بلحظة، فهو موضوع مفكر فيه، ومفكر فيه بدرجة عالية من الاهتمام.

اللامفكر فيه: وهو موضوع غير حاضر أمام الوعي والعقل، إنه في دائرة مهملة، غير مهتم به، فلو كان هناك مصنع للصابون في جزيرة في المحيط الهادي، فهو موضوع غير مفكر فيه، ولكن لو كانت مدينة تستخدم هذا الصابون، ثم نتج عنه التهابات توصل للسرطان مثلًا، فإن هذا المصنع ينتقل من دائرة اللامفكر فيه إلى دائرة المفكر فيه.

المستحيل التفكير فيه: وهو موضوع غريب نسبيًّا؛ لأنه مرتبط بما هو ممكن، ولكن الناس في لحظة ما يجعلونه من المستحيلات، مع العلم أن بعض المشككين في العقائد قد استخدموه

---

(١) ممن اشتهر عنه صناعة هذا المفهوم وتطبيقه في بحوثه: المفكر الفرنسي "ميشيل فوكو" في كتابه: الكلمات والأشياء، وللأسف فقد استُخدِم هذا المصطلح من قبل بعض المسلمين استخدامًا سلبيًّا في نقد الإسلام والعقل الإسلامي، كما نجد ذلك مثلًا عند محمد أركون. أما استخدامه هنا ففي جانب إيجابي تفسيري، يرتبط بعلاقة الغرب والعالم غير المسلم بالإسلام.



بشكل خاطئ مع العقائد الحقة، فمن لم يتشكك بها جعلوه من المستحيل التفكير فيه، وهذا إنما ينطبق على العقائد الباطلة والأهواء التي تعلق بها أصحابها، فمن المستحيل عند أصحابها التشكيك فيها، بل هي عندهم حق اليقين. وليس هذا ما نريده هنا، وإنما ما هو أقل من ذلك، فمثلًا: لو جاء رجل قبل مئة سنة، وتحدث في قبيلته قائلًا: إنه ينوي صناعة صندوق صغير، يُحمَل في الكف، وهو قادر على التقاط الكلام، والإمساك به، ثم يرسله لصندوق آخر، مع شخص آخر، في قرية بعيدة، فتنطق به، وكأنه يتكلم معك، ثم هو يرد عليك، وهكذا؛ فماذا سيقول أفراد القرية له؟! سيقولون بأنه مجنون أو ساحر، والمثقف منهم سيقول: هذا شيء مستحيل. فلماذا كان مستحيلًا، مع أنه غير مستحيل؟! هذا يبين نوعًا من أنظمة الفكر في وقت أو مجتمع.




وسننتقل من هذا التقسيم الثلاثي إلى عالم الانتماءات العقدية والفكرية الثلاثة: الأديان والفرق والمذاهب الفكرية، ونكتفي هنا بعالم الأديان، بداية بالدين ذاته، ثم الأديان المختلفة التي تتنافس على البشرية، وننظر لواقعها مع مزدوجتي: المفكر فيه واللامفكر فيه.

فمع نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، شهدت أوربا انحسارًا للدين، فبعد أن كان في دائرة الاهتمام لقرون طويلة، شهد انحسارًا كبيرًا، وبخاصة في الطبقات المتعلمة، وتحول من مفكر فيه إلى لا مفكر فيه، وإذا نال حظًّا من التفكير فيه، فإنه ينظر إليه باعتباره ظاهرة تتم دراستها في العلوم الإنسانية والاجتماعية كما تدرس ظاهرة هجرة الطيور أو انقراض نوع من السمك أو غيرها مما يدرس، وتوسع الشك في الدين في القرن التاسع عشر؛ فقد (كان برهة التوثيق الأفضل للشك واسع الانتشار في تاريخ البشرية، إذ كان عدد الذين




يكتبون ويقولون حيث يمكن أن يسمعهم الآخرون أكثر منه في أي وقت مضى)[1]، إلا أنه بعد منتصف القرن العشرين، بدأ الدين يرجع للمجال العام، ويتسرب للنخب المتعلمة، وبدأ الصعود التدريجي للدين، وبخاصة الدين النصراني، كون أوربا منطقة تاريخية لهذا الدين[2].



ولكن هناك ظاهرة نادرة، ترتبط بالعولمة الإعلامية، وهي عولمة يمكنها أن تُحولَ موضوعًا ما من خلال التركيز عليه إعلاميًّا إلى حدث عالمي، فينتقل من "اللامفكر فيه" إلى "المفكر فيه"، فيكون موضع اهتمام من جميع سكان العالم، وهذه الظاهرة ترتبط بدين الإسلام، عبر تحويله من دين "لامفكر" فيه على مستوى العالم إلى دين "مفكر فيه"، فكيف يتم ذلك؟

لو رجعنا لثلاثين سنة، وذهبنا إلى نقاط جغرافية كثيرة من العالم، لما وجدنا عندهم تفكيرًا في موضوع الإسلام، وبالكاد يصل الدعاة للإسلام لمجموعة أفراد هنا أو هناك، وعندما يذكر الإسلام في بيئة، فيكون عبر برنامج وثائقي أو فقرة إعلامية قصيرة كالحديث عن الحج في نشرة أخبار، ولكن ذلك لا ينقله من دائرة "اللامفكر فيه" عند هؤلاء، فهو يُنسى بعد انتهاء الخبر أو البرنامج.

ولكن في السنوات الأخيرة أصبح الإسلام في قائمة الاهتمام، وأصبح موضوعًا أساسيًّا في كثير من مناطق جغرافيا العالم، وأصبح "مفكرًا فيه" بشكل كبير، وبما أن الإعلام العالمي ليس بيد المسلمين، فقد تم صناعة إسلام شرير، على شكل عاصفة مدمرة، تمر بكل مدن العالم، والناس

---

(١) تاريخ الشك، جنيفر، ص٦٢٧، وقد كان أشهر الأعمال المعبرة عن هذه النزعة الإلحادية وإهمال الدين كتاب "فيورباخ" "جوهر المسيحية"، ص٦٢٩.

(٢) يذكر هتنغتون أن الحضارة الغربية أنتجت في القرن العشرين أشهر الأيدلوجيات السياسية الضخمة: الليبرالية، الاشتراكية، الماركسية، الشيوعية، الديمقراطية، القومية، الفاشية،...، ولا يوجد حضارة أخرى أنتجت شيئًا ذا بال، ومع ذلك لم تنتج ديانة عالمية عظمى، ولكن هذه الأيدلوجيات الضخمة سقطت، والدين بدأ يدخل عنوة مكانها، ينظر: صدام الحضارات، ص١٢٣-١٢٤.





يفكرون في هذا الخطر؛ ومما يزيد من الاهتمام: أحداث التفجير التي تغطيها نشرات الأخبار في المدن العالمية، ثم تُربط بالإسلام؛ وتم صناعة محتوى إعلامي كبير، يغطي الأخبار والأفلام الوثائقية والبرامج الحوارية والمحتوى الفني في السينما والمسلسلات(1)؛ فضلًا عن النشاط الثقافي في المؤتمرات والمحاضرات والكتب والمجلات مع النشاط السياسي والاجتماعي العام الذي يتحدث عن الإسلام، هذا وغيره كثير، أسهم في إخراج الإسلام من دائرة "اللامفكر فيه" إلى دائرة "المفكر فيه"، ولكن على أنه شيء مقلق وخطر يجب الحذر منه.

هذا الحدث الضخم لا يوجد لدين آخر، فكل الأديان محصورة في نطاقها الجغرافي، وفي أهلها، فلو قام بابا الفتيكان بزيارة لأمريكا الجنوبية، فهو حدث نصراني، ويظهر في الأخبار، ويكون موضع اهتمام من الكاثوليك مثلًا، ولكن حركة مسلم بما في ذلك مجموعة اللاجئين والمشردين، يكون حدثًا تحت دائرة الاهتمام العالمي.

وجاء الحديث عن مصطلحات تُعبر عن هذه الظاهرة المعولمة إعلاميًّا وثقافيًّا وسياسيًّا واجتماعيًّا وفنيًّا، وهي فوبيا الإسلام "إسلام فوبيا"، وهو مصطلح يعبر عن نجاح المنظومة السابقة بصناعة نمط غير صحيح عن الإسلام والمسلمين، ويتم استثمار أخطاء أو انحرافات لمجموعة صغيرة من المسلمين؛ لتعمم على أكثر من مليار ونصف مسلم، ويوصف بها دين

---

(1) توجد مسلسلات وطنية، مثلًا مسلسلات بريطانية، يتابعها البريطانيون، وأخرى ألمانية، يتابعها الألمان، وهكذا، فيجد الراصد لهذه المسلسلات قيامهم بإضافة أسرة مسلمة ضمن الأحداث، أو شخصية مسلمة، وتربط بقضايا الإرهاب، وهذا يغذي نمطًا معينًا من التصور عن المسلمين داخل هذه البلدان؛ ينظر: صورة الإسلاميين على الشاشة، أحمد سالم وقد قدم عرضًا لبعض الأفلام الهوليودية ص97؛ الإسلام والإعلاموفوبيا، د. محجوب سعيد، ص88، ونقل عن إدوارد سعيد أن تشويه الإسلام في الغرب مر بثلاثة أطوار: المرحلة الصليبية، ثم المرحلة الاستشراقية، وأخيرًا: المرحلة الإعلامية، ص116.



عظيم؛ وهو دين الإسلام. تقوم فوبيا الإسلام على صناعة خوف عند العالم من الإسلام، وهناك "دعاة الخوف من الإسلام" الذين يقومون بالمهمة، فالإسلام عندهم خطر ينبغي مواجهته، وهو-من وجهة نظرهم قطعًا- يشبه الفيروس القاتل الذي ينتشر، وهو بحاجة للحذر، ويبدأ بالخوف منه الذي يجب أن يكون عند كل من ليس مسلمًا، ومن ثم يقع تبرير أي موقف ضد المسلمين، وفي كتاب "فوبيا الإسلام" تفاصيل مدهشة لعمل الآلة الإعلامية والأجهزة الثقافية والسياسية في صناعة هذا الخوف من الإسلام(١).



ومطلب الوعي هنا يبرز في ثلاثة مواقف مهمة للمسلم المعاصر، وهي:

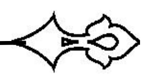
١-الوعي بطريقة عمل المنظومة الإعلامية المعولمة وما يتبعها في تشكيل هذا التصور السلبي عن الإسلام، وهو تحدٍّ خطير، ثم بناء آلية لتفكيكها، وإعادة الأمر لوضعه الطبيعي.

٢-الوعي بالمشكلات داخل البيت الإسلامي- والتي تسببت في إيجاد أمثلة يتكأ عليها خصوم الإسلام، بوضعها أدلة لتجريم الإسلام والمسلمين- ثم القيام بمعالجتها.

٣-الوعي بالفرصة التاريخية التي لا تتكرر كل وقت، والمتمثلة في كون الإسلام "مفكرًا فيه"، فهناك متابعة عالمية للإسلام، وقراءة عنه، وبخاصة عندما يقع حدث إرهابي، ويظهر على وسائل الإعلام وشبكات التواصل، وهذه الفرصة تتيح لنا أن نُبين للعالم الجواب

---

(١) ينظر: الباب الثالث كاملًا، وبخاصة ص٢٤٠ وما بعدها؛ ومن الكتب المهمة: صناعة الآخر المسلم في الفكر الغربي المعاصر من الاستشراق إلى الإسلاموفوبيا، المبروك الشيباني، ويتحدث فيه عن تحويل الخوف العادي إلى خوف مرضي عبر الثقافة والإعلام؛ وينظر: الكتاب الطريف في بابه: الحرب على الإسلام، للكاثوليكي: آرشي أوغوستاين، ومع نصرانيته إلا أنه دافع وبمنطق القرآن وباستدلال قرآني عجيب عن حقيقة هذه الحرب الظالمة الآثمة على الإسلام؛ وينظر: في الشبكة لمصطلحي: "إسلام فوبيا، الفاشية الإسلامية"، لبيان حجم هذا النشاط الخطير.



الإسلامي، وأن نُبرِز الإسلام كما هو وليس كما يُصور، وأن نفتح باب الحوار والدعوة للإسلام.

وهي مهمة ثلاثية صعبة، ولكنها من الأمانة التي يتحملها مسلم اليوم، فهذا دينه، والله قد أئتمنه على هذا الدين: أن يحياه، وأن يحافظ عليه، وأن يدعو إليه؛ ومن ينظر لما في هذه المحن من منح، يجد أن هناك فرصًا كبيرة يُضيعها المسلمون؛ فكل العالم- ونقصد "بكل" هنا بيان ظاهرة عالمية- مهتم بمتابعة الإسلام، فأين نحن من مقابلة هؤلاء بما يجب ويحقق رسالتنا! لقد كان الدعاة يتعبون تعبًا كبيرًا للوصول إلى غير المسلمين، وإثارة اهتمامهم بالإسلام، ثم يدعونهم للحق، واليوم كثير من الناس أصبح مهتمًا بالإسلام والبحث فيه وعنه، فما بقي إلا أن نكون مستعدين لمقابلتهم والإجابة عما يسألون، بالجواب الحق.




وقد ظهر من بشائر الخير ما يعجب له المتابع، وذلك أن نُخَبًا عالمية، متنوعة الاهتمامات والتخصصات، قادها اهتمامها بالبحث في هذا الإسلام الذي تُغطيه وسائل الإعلام للدخول إلى الإسلام، وما كان هذا ليتحقق إلا بوجود من يبين لهؤلاء الحيارى ما يرفع اللبس عن الإسلام، ويقدمه لهم بالأسلوب الأمثل.

ومما يؤكد اتساع مساحة الفرص- ومن ثم يؤكد واجبنا الإسلامي في استثمارها- ما تؤكده الأرقام من تزايد المقبلين على الإسلام، ونوعية هؤلاء المقبلين، حيث غلب عليهم: تميزهم في واقعهم الاجتماعي، مما يعزز الإسلام بنخب قيادية ما أن تدخل في الإسلام حتى تتحول لمصدر إشعاع في واقعها.

وقد ظهر مصطلح مقابل لفوبيا الإسلام وهو "جاذبية الإسلام"، وقد وضعه المستشرق "ماكسيم ردسون" عنوانًا لأحد كتبه المعبرة، وله واقع مشهود في يومنا هذا، حيث نجد أن تفكيرهم في الإسلام قد دفعهم لاعتناق الإسلام؛ ففي أمريكا قد تضاعف عدد المهتدين





للإسلام أربعة أضعاف[1]، ويتحدث "مراد هوفمان"- وهو أحد المسلمين الجدد- عن ظاهرة هذا التفكير في الإسلام ودراسته والقراءة عنه من قبل الكثير، ثم ينام، ويستيقظ مسلمًا، يقول: (ويدرس الطلاب الغربيون الثقافة الإسلامية في الجامعات، وما تلبث الدراسة أن تصبح أكثر من مجرد مواد تدرس ... ويستيقظ كثير من الطلاب ذات يوم ليجدوا أنفسهم وقد اعتنقوا هذا الدين: الإسلام)[2].



يمكن القول بأن الإسلام قبل ظاهرة "حرب الإرهاب" كان بعيدًا عن الأنظار، وإنْ ذُكر فعلى سبيل الانتقاص، فعندما نذهب لبلدان العالم ونسألهم عن الإسلام نجدهم لا يعرفون عنه شيئًا، ولكن بعد الحملة التي قادتها قوى غربية ضد الإرهاب، اهتم العالم بالإسلام، وأصبح معروفًا في كل مكان.

إن تحول الإسلام من دائرة "اللامفكر فيه" إلى دائرة "المفكر فيه" تشهد حالة مربكة في عالم خصوم الإسلام، فهناك صراع بين قوى تمكر وواقع يستعصي على هذا المكر، قوى تريد الإسلام في الواجهة، ولكن كشيء قبيح أو مخيف أو غير مرغوب فيه أو كنموذج للشر أو للسوء، وواقع يفرض أشياء أخرى، مآذن تزداد، حجاب ينتشر، أسماء إسلامية، ومئات يعلنون إسلامهم، وبرامج تدافع عن الإسلام، وخطاب إسلامي مقنع ومؤثر.

(١) ينظر: جاذبية الإسلام، د. أحمد عبد الرحمن، ص٧؛ وقد تحدث فوكوياما عن جاذبية الإسلام (كذلك فإن للإسلام جاذبية يمكن أن تكون عالمية)، ثم عاد وناقض قوله بأنها جاذبية داخل البلدان الإسلامية، ينظر: نهاية التاريخ، له، ص٥٦.

(٢) الطريق إلى مكة، ١٢٤، نقلًا عن: جاذبية الإسلام، د. أحمد عبد الرحمن، ص٧.



ومن ذلك أنه في يوم السبت ٢١/ ١١/ ١٤٣١هـ، أخرجت بريطانيا هذا الخبر، وهو أن أكثر الأسماء للمواليد هذه السنة هو: محمد، فكم عدد الأسماء الإسلامية أو للمسلمين غير محمد؟ وكيف في بلد عريق كبريطانيا أن ينافس اسم محمد بقية الأسماء؟![(١)].

والإسلام مع تحمّله أعباء المواجهة العالمية وتبعاتها إلا أنه قادر على الخروج بنتائج عظيمة، وذلك عبر خطاب دعوي واعٍ بطبيعة المرحلة، وقد تأخذ "الدعوة" عند البعض مفهومًا سطحيًّا، وبدون شك فليس هو ما يُقصَدُ هنا، وإنما عين المراد معنًى يجب أن يكون في صورة كاملة قادرة على مواجهة العصر بمسئولية الأمانة الملقاة على كاهل الأمة المسلمة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾ [فصلت: ٣٣-٣٥]، وقال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ [النحل: ١٢٥].



---

(١) نقرأ هذا الخبر في موقع العربية: (أظهرت دراسة حديثة أن الاسم الأكثر انتشارًا وشيوعًا في مقاطعتي إنجلترا وويلز ببريطانيا هو (محمد)، وذلك على الرغم من أن نسبة المسلمين في البلاد لا زالت لا تتعدى نسبة ٥٪ من إجمالي عدد السكان، حيث احتل الاسم (محمد) المرتبة الأولى من حيث عدد المواليد الذين أطلق عليهم هذا الاسم خلال العام الماضي. ويتبين من بيانات المواليد المسجلين في إنجلترا وويلز خلال العام ٢٠١٣ أن ٧٤٤٥ مولودًا جديدًا حمل الاسم (محمد)؛ ينظر على هذا الرابط: http://ara.tv/gpxwh.



تجمع لنا هذه الآيات مفهوم الدعوة اليوم، وكل يوم، فهي تُبين ضخامة المسئولية، وتبين عناصر نجاح الدعوة، وتضع الطريق الواجب اتباعه للمسلم في كل وقت، ويتأكد ذلك في مثل ما يمر به العالم اليوم من أمور.



وسأتحدث عن مثَلَين معبرين عن الوعي المطلوب؛ مَثَل من ديانة غير إسلامية، ومَثَل من المسلمين:

المثال الأول: شباب المرمون

هناك موقف ملفت للانتباه لأتباع ديانة جديدة نشطة وناجحة، وهي الديانة "المورمونية" وهي نِحلة نصرانية حديثة، وهذا الموقف يتمثل في نشاطها الدعوي منذ أن ظهرت في منتصف القرن التاسع عشر، فقد بدأت مع شاب صغير عمره تقريبًا خمس عشرة سنة، وكونت خلال مائة مئة عام ديانة متحديةً أصعب العوائق[١]، والموقف الملفت هو ما يقوم به شباب هذه الطائفة؛ حيث يتفرغ الشاب بعد بلوغه الثامنة عشرة من عمره للدعوة لسنتين، ويسافر الشاب لبلد خارج أمريكا، ويتعلم خلالها لغة ذاك البلد، من لغات أمريكا الجنوبية أو جنوب شرق آسيا أو اليابان والصين وغيرها من البلدان التي يسافرون إليها للدعوة. ونظرًا لذهابه إلى بلدان تحوي ديانات غير ديانة موطن نشأته؛ فقد عمدوا إلى تزويده بوعي يؤهله لمعرفة تلك الديانات وأهم مكوناتها وأهم مفاتيحها، وما يناسب أن يكون مدخلًا له، وما ينبغي أن يتجنبه، وذلك أشبه بدليل إرشادي قد هضمه هذا الفتى اليافع.

هنا يأتي سؤال مهم: من الأولى بهذا الوعي؟! مَنِ الأولى بهذا النشاط؟! أليس هم أصحاب الدين القيم؟! ما الوعي الذي يحرك شباب الإسلام اليوم؟ بل الوعي لا بد أن يشمل الكبار أيضًا.

---

(١) ينظر: حول هذه الطائفة الموسوعة العربية العالمية، مادة: المورمون.



عندما يشعر المسلم بعظمة الدين الذي يحمله، وأن كل مسلم كان ينبغي أن يكون نورًا، ويسعى إلى معرفة الناس بهذا النور، ويؤثر بنوره في دروب البشرية المظلمة، فإنه سيكون حامِلَ هم إيصال هذا النور لكل الخلق، وهذا يتطلب منه الوعي بأهم انتماء لهم، ولا يوجد انتماء أهم للبشرية من الانتماء الديني.




وقد سألت أحد رجال المورمون عن أبنائه، هل يمارسون الدعوة وفق مذهبهم؟ تفاجأت بجوابه: عنده ابن في اليابان، وابنة في الصين، وهو يتعلم اللغة اليابانية وهو ابن ثمانية عشر سنةً، وهي تتعلم اللغة الصينية وهي ابنة العشرين عامًا، وهي تتصل بأبيها وتخبره أنها مع صعوبة اللغة الصينية إلا أنها تتقدم تقدمًا ملحوظًا، بل تقول لأبيها: يا أبتي أمامنا فرص كبيرة في الصين، هناك أعداد كبيرة يعيشون فراغًا دينيًّا، ويتقبلون دعوتنا، ليتك تحث الشباب أن يذهبوا للصين.

نحن هنا أمام درجة عالية من الوعي في ترتيب الأولويات عند هذه الفتاة، وللأسف يفتقدها بعض كبار المسلمين، فكم شخص متدين ومتحمس للدعوة من المسلمين؟! كم طالب علم؟! كم المتخرجون من كليات تعلم علوم الشريعة؟! إنهم بالألوف، إنهم ولله الحمد يملؤون عالمنا اليوم، أينما تذهب في الكرة الأرضية ستجد مسجدًا، وستجد شبابًا في غاية التدين والعاطفة الدينية وعندهم حرص على التعمق في علوم الإسلام، إلا أنهم وبسبب ضعف الوعي تجد أولوياتهم مشوشة، يعملون أعمالًا هامشية أو دون أثر أو ليست هي مما يليق بقدرات الشاب المسلم المتدفق إيمانًا وصدقًا وعلمًا وهمًّا، ثم تجده يصرف تلك القوة في غير مسارها المناسب، أو يصرفها فيما هو غير مهم.

المثال الثاني: ركن الحوار

بعض المبادرات الإسلامية الذكية تنقذ الموقف وتصحح المشهد، ومن بين تلك المبادرات، مبادرة: "ركن الحوار" التي أطلقت نشاط الشباب بخاصة وكل مهتم بدعوة غير المسلمين




عامةً، وهي مبادرة عظيمة مع أنها تبلغ درجة كبيرة من الصعوبة؛ لأن المشاركين لا يواجهون شخصًا معروفًا يمكن الوعي بمسالكه وأحواله، وليست ديانة واحدة معروفة الأركان والشرائع، وإنما كل البشر يمكنهم المجيء إلى "ركن الحوار"، ويواجه الشاب المسلم الداعية كل أديان الأرض وأهلها بعقائدهم وشرائعهم وشبهاتهم وتساؤلاتهم وشكوكهم، وهذه تتطلب وعيًا عميقًا ونوعيًّا، ومع ذلك نجح هؤلاء في استيعاب كل هدير العالم الديني، وقدموا الجواب وعرضوا البديل، فكانت المفاجأة تلك الأعداد اليومية التي تعلن إسلامها من كل أقطار الأرض.

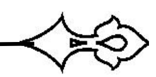


وقد مررت بموقع "ركن الحوار" بتاريخ: (١/ ١١/ ٢٠١٥) وأخذت منه هذا الخبر:

(بفضل الله ورحمته يبشركم مركز ركن الحوار للتعريف بالإسلام عبر الإنترنت بلوغ عدد المسلمين الجدد ٦ آلاف مسلم من كافة أنحاء العالم، اختلفت خرائط دولهم ولغات ألسنتهم ثم وحَّدهم الإسلام فأصبحوا بنعمة الله في نور منه وإيمان، دخلوا دين الله طائعين بعد حوارات إلكترونية، على علم وبصيرة عبر الحوار المباشر مع دعاة بنفس لغاتهم، يعملون على مدار الساعة، ليهدي الله بهم من: ١٠ – ١٢ مسلمًا جديدًا يوميًّا، ولله الحمد.

المسلمون الجدد الذين شملت جنسياتهم ١٥٣ دولة، وكان آخر من أتم الستة آلاف من دولة الكاميرون، لا ينتهي الأمر بهم عند تعريفهم بالإسلام ونطق شهادة التوحيد، بل يتم تعليمهم أمور دينهم عبر أكاديمية المسلم الجديد، والتي ينتسب إليها حتى الآن ٩٥٤١ دارسًا في مستوياتٍ علمية مختلفة.

عداد الألفيات التصاعدي الذي أطلقه المركز عبر الحسابات الاجتماعية بلغ ٦٠٠٠ مسلمًا جديدًا في الخامس عشر من شعبان، وما زال نور الله يسري في أنحاء المعمورة، ليبلغ الآفاق ثم لا يحصى عددهم إلا الله سبحانه).



فلو انصرفت همم الشباب أو طائفة منهم لدعوة أهل الأديان لدين الإسلام، بل يمكن أن ينقسموا بحسب الديانات، فقسم يدعو ديانة كذا، وقسم يدعو ديانة كذا، بحيث يتعمقون وعيًا في مكونات تلك الديانة المقصودة، وآخرون بحسب الأعراق، وهؤلاء بحاجة لمعرفة الديانة الرئيسة عندهم والديانات المحيطة بها، وهكذا.



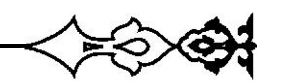
وهنا ننظر لقيمة الوعي وأثره في توجيه الصالحين لهذا المجال من جهة، ودور الوعي في مساعدتهم في عملهم من جهة أخرى:

فأما أثره فيكمن في بيان الأولويات، حيث اتجهت طاقتهم لأعظم الأعمال وأنفعها، وكل مسلم يعلم منزلة عمل الداعية إلى الله، وبخاصة عندما ينجح في إدخال غير المسلمين إلى الإسلام، فخروجهم من أعمال وهموم وانشغالات غير مهمة بل ربما ضارة إلى هذا العمل الشريف هو توفيق رباني بما حصَّله هؤلاء من وعي دفعهم لأشرف الأعمال.

وأما أثره في مساعدتهم في عملهم، فهم يشتغلون في حقل ألغام، أديان شتى، وثقافات مختلفة، ونفسيات متنوعة، وشبهات مظلمة، فكيف لهم خوض غمار كل ذلك لولا ما يمن به الله عليهم من العلم والوعي والحكمة؟! فيتعاملون مع كل واحد بما يناسبه، ويتنقلون من حال لحال، ومن شخص لآخر، ومن شبهة لأخرى، بعلم وبصيرة ووعي، حتى ينتهوا به مسلمًا أو على الأقل محترمًا للإسلام ولهؤلاء المحاورين المهرة.

أين هؤلاء من أولئك التائهين من المسلمين؟! تمر بهم الأيام والشهور وربما السنين دون ثمرة أو عمل نافع!

وفق الله أحد الرجال، نحسبه من الصالحين الموفقين ولا نزكي على الله أحدًا، وهو الشيخ الصالح المصلح عبد الرحمن السميط المتوفى سنة (١٤٣٤هـ) رحمه الله، حيث تذكر



الإحصاءات أنه قد أسلم على يديه أكثر من ١١ مليون شخص في أفريقيا[1]، كيف انصرفت همته وطاقته لأشرف الأعمال؟! وكم له من الأجر بإذن الله مع كل مسلم يعبد الله وقد أسلم على يديه؟! فضلًا عن المشاريع الدينية والتعليمية والإنسانية لأكثر من ثلاثين سنة، وهذا الانتباه لما هو أولى وأهم إنما يكون بما يعطي الله عبده من الوعي والحكمة.



(١) ينظر: هذا العدد في جريدة الاقتصادية عدد (٧٢٤٨) بتاريخ الخميس: ٨/ ١٠/ ١٤٣٤هـ، وينظر: كتاب: عبد الرحمن السميط ... قصة رجل عظيم، لعز الدين مراغب، سما، الكويت.



## المبحث الثامن

## المستقبل للإسلام




قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين"[(١)]، وقال صلى الله عليه وسلم: "لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام)[(٢)].

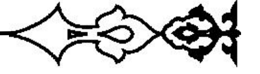
أصبح الحديث عن المستقبل حديثًا وافرًا، وبعد نزوع العالم نحو العلمانية، والتي من معانيها الاهتمام بهذه الحياة فقط، أصبح حديث العالم هو عن مستقبل الدنيا، ويكفي أن تكتب كلمة "مستقبل" في باحث على الشبكة، وتنظر ماذا تكون الكلمة اللاحقة، فتجد مستقبل الطب، التقنية، الهندسة، الطيران، وغيرها، ولكنك لا تجد فيها المستقبل الأخروي، وهو مصداق قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧ ﴾ [الروم: ٧]، قال الرازي: (يعني: علمهم منحصر في الدنيا وأيضًا لا يعلمون الدنيا كما هي وإنما يعلمون ظاهرها)[(٣)]، وقال الزمخشري: (ذمهم الله عز وجل بأنهم عقلاء في أمور الدنيا، بله في أمر الدين... وقوله: ﴿ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ يفيد أن للدنيا ظاهرًا وباطنًا، فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها. وباطنها وحقيقتها أنها مجاز إلى الآخرة: يتزود منها إليها بالطاعة والأعمال الصالحة. وفي تنكير "الظاهر": أنهم لا يعلمون إلا ظاهرًا واحدًا

---

(١) حديث تميم الداري رضي الله عنه في مسند الإمام أحمد، رقم (١٦٩٥٧)، وقال المحقق: إسناده صحيح على شرط مسلم، ٢٨/ ١٥٥.

(٢) من حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه في مسند الإمام أحمد، رقم (٢٣٨١٤)، وقال محققه: إسناده صحيح، ٣٩/ ٢٣٦.

(٣) تفسير الرازي، ٢٥/ ٨١.



من جملة الظواهر)[1]. وقال ابن عاشور: (والكلام يشعر بذم حالهم، ومحط الذم هو جملة ﴿ وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ ، فأما معرفة الحياة الدنيا فليست بمذمة؛ لأن المؤمنين كانوا أيضا يعلمون ظاهر الحياة الدنيا، وإنما المذموم أن المشركين يعلمون ما هو ظاهر من أمور الدنيا ولا يعلمون أن وراء عالم المادة عالمًا آخر هو عالم الغيب)[2].



وتنبيه ابن عاشور بأن الحياة الدنيا ليست هي المذمومة، وإنما المذموم أن تُحصر المعرفة فيها، دون ما ورائها من عالم الغيب، يُعد تنبيهًا مهمًّا، وذلك أن هناك مقولات فكرية تزعم عدم وعي المسلمين بالمستقبل، فهم أمة تؤمن بفناء الدنيا، وينتظر كل جيل هذا الفناء، والحديث عند المسلمين بحسب رأيه إنما هو عن فتن الزمان وليس مستقبل الإسلام، وعن أن مسار الزمن هو للأسوأ[3]. وهذا النظر منه إنما هو نظر لحال بعض العامة، وأصحاب النظرة المتشائمة؛ فهم دائمون لا يرون إلا بعين واحدة، أو حَكَمَ بذلك لما رآه غالبًا على بيئات إسلامية من الطرق الصوفية التي تخاطب عامتها بخطاب شبيه بهذا، بينما خصائص المنهج الإسلامي تقوم على عكس ذلك، فهناك خاصية التوازن والوسطية والشمولية للدين والدنيا، والدنيا والآخرة[4]، وهذه الخاصية مفقودة في الأديان الأخرى، وغائبة في الفرق الدينية، فالاهتمام بالدنيا وبمستقبل الحياة في الأرض يتوازن مع الإيمان بالغيب والآخرة والحياة الثانية.

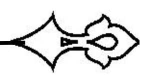
---

(١) الكشاف، ٣/ ٤٦٨.

(٢) التحرير والتنوير، ٢١/ ٥٠.

(٣) ينظر مثلًا: كلام عبد المجيد الشرفي في: مستقبل الإسلام في الشرق والغرب، ص١٣؛ وهو خطاب يأخذ مساحة كبيرة في كتابات محمد أركون؛ وينظر: المنهجية الإسلامية للدارسات المستقبلية، د. هاني الجبير، ص٤٧، وفيه مناقشة لمشروعية ذلك في الإسلام.

(٤) ينظر: خصائص الإسلام الذي ندعو إليه، د. إسماعيل محمد.



ولكن من أعجب ما تفاجأنا به البواحث، أننا نجد عند وضعنا كلمة "المستقبل" أو كلمة "الإسلام" أيضاً، فقد أَلِفتْها البواحث، ولم تعد مستغربة، وهذا يؤكد ما سبق في فقرة "الإسلام مفكرًا فيه"، وجاذبية الإسلام، وبتقرير "بيو" عن مستقبل الأديان.




وإننا لنؤمن بأن سند الوحي لا سند فوقه، وقد جاءت الأخبار والآثار بأن المستقبل لهذا الدين، والناظر لحركة التاريخ يدرك يقينًا أن المستقبل لهذا الدين، ودراسات اليوم تتحدث عن مستقبل يتربع فيه الإسلام على قائمة العالم.

هناك أحداث مزعجة تدفع البعض لليأس، وهناك حملة مضادة تريد تشكيك المسلمين في هذه الحقيقة القائمة على أن المستقبل للإسلام، وتدفعهم للشك في قدرات الإسلام، ويؤثر هذا على نفسياتهم وعلى أعمالهم، فمن يعمل وهو يعلم أن المستقبل للدين، يختلف في نشاطه وأفكاره عمن يعمل وهو يائس من الواقع والمستقبل؛ فذاك يعمل عمل النشط المنطلق المبدع المبتكر، وهذا يعمل عمل المنسحب المنكمش المحبوس في واقعية سوداوية، وغفل هؤلاء عن سنن الله في خلقه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤١ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ١٤٣﴾ ، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٩﴾ [الصف: ٨، ٩]، قال ابن عاشور: (فلما أخبر الله بأنه أراد إظهار دين الإسلام على جميع الأديان، عُلِمَ أن أمره لا يزال في ازدياد حتى



يتم المراد)[1]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٢- ٣٣]، وقال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفتح: ٢٨].



قد ينظر البعض للنصوص التي تذم الدنيا، وفيها فتن آخر الزمان، والضعف الذي يصيب المسلمين مع الزمن، ويستدل بها على أن المستقبل ليس في صالح المسلمين، ومعلوم أنه يوجد نوعان من الآثار: نوع يبشر بمستقبل الإسلام، ونوع يُبين بعض الفتن التي تقع في المستقبل؛ ولكن النوع الثاني هو من أجل تنبيه الأمة وتحذيرها عندما تقع أن تكون مستعدة لذلك، وهذه مسألة بحاجة لدراسة علمية مستقلة، للجمع بين هذه الآثار، فهي كلها حق، والمؤمن مكلف بطاعة الله والدعوة للحق والثبات على الدين، وهو موعود بالنصر والتمكين.

وثمة طريقان للمسلمين في معرفة مستقبل الإسلام، طريق يقيني، وهو ما جاء به الوحي، ولا شك أن نصوص الإسلام قد تظاهرت على تقرير هذه الحقيقة، وهي حقيقة أن المستقبل للإسلام، وهذا يُبين أن البشرية رغم تقدمها فلا دين يحميها وقت تقدمها سوى الإسلام، وهي إشارة واضحة أنه دين مستوعب لحاجة الناس في كل زمن؛ وهناك طريق اجتهادي بشري، قائم على الحسابات والدراسات والنظر، وهي منهجية صحيحة، وهي مهمة للمسلمين اليوم، بحيث يبنوا عليها خططهم ومشاريعهم، ويحتويها مفهوم الدراسات المستقبلية.

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٨/ ١٩٢.



وهناك في مقابله طريق مشهور ولكنه منهي عنه، وهو الاعتماد على أسباب غير شرعية لمعرفة الغيب والمستقبل، مثل الاستعانة بالكهَّان والمنجمين وغيرها من الطرق، والعجب أنها منتشرة بين الناس في الشرق والغرب، وعند من اخترقتهم الحداثة وعند غيرهم، وهي التي جاء الإسلام بمواجهتها، فهي تبني العقلية الخرافية وتلغي السببية(١).



وهناك شهادات مهمة من شخصيات متصلة بهذا الشأن، وهي بالعشرات، حول مستقبل الإسلام، وأكتفي بشهادة شخصية فكرية ودبلوماسية أوربية، دخل في الإسلام، وهو "مراد هوفمان"، يقول: (الفضل للاتصالات السهلة والمعلومات الجاهزة أن أصبح الإسلام دينًا عالميًّا لأول مرة، كما كان يراد له. فقد كان المرء قبل خمسين سنة يجد بلدانًا ليس فيها مسلم واحد، مثل إيسلندا. فلم يعد ذلك ممكنا اليوم، فالإسلام في أمريكا وأوروبا يعد الدين الثاني، والأسرع في الانتشار، إن لم يكن هو الوحيد الذي ينمو ويتعاظم... صحيح أن الغرب قد هيمن في جميع أنحاء العالم خلال الخمس مئة سنة المنصرمة عسكريًّا واقتصاديًّا وتكنولوجيًّا، ولكن خلال المدة ذاتها اكتسب الإسلام أناساً أكثر من أي دين آخر؛ فحوالي ٤٠٪ من المسلمين كافة اليوم هم من نسل من كانوا قبل خمس مئة سنة غير مسلمين، وفي أمريكا كل عشرة أطباء بينهم طبيب مسلم؛ وهو أمر لم يكن يخطر ببال قبل خمسين سنة، والوضع في شبكة الإنترنت يبدي توازنًا مماثلًا؛ فأقل ما يقال: إن الإسلام هو الأكثر حضورًا في الشبكة. كل هذا فرصة على الصعيد العالمي يُعد تحسيناً هائلًا)(٢)؛ وهناك شهادة من شخصية غير إسلامية، ومهتمة كثيرًا بدراسة الإسلام، وهو "إسبوزيتو"، يقول: (واليوم أصبح الإسلام

---

(١) ينظر: المنهجية الإسلامية للدراسات المستقبلية، د. هاني الجبير، ص٩ وما بعدها؛ وذكر أنه في أوروبا عام ٢٠٠٠ كان هناك أكثر من مئة وعشرين مؤسسة تعمل في مجال الدراسات المستقبيلة.

(٢) مستقبل الإسلام في الشرق والغرب، مراد هوفمان، ص١٣٤-١٣٥.



أسرع الأديان انتشارًا في أفريقيا وآسيا وأوروبا وأمريكا)[1]، وسبق عرض تقرير مركز "بيو" عن مستقبل أهم الأديان، وأن الإسلام سيتساوى مع النصرانية من خلال صعود قوي عام ٢٠٧٠، وأنه بعدها بسنوات سيكون هو الدين الأكثر أتباعًا في العالم.



ومع هذه الحقيقة الناصعة حول الإسلام، يقودنا الوعي إلى ثلاثة أمور مهمة، وهي:

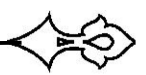
أولًا: أن نكون هنا، وأن نكون هناك؛ هنا في واقعنا الحالي، وهناك بأن نتجهز للمستقبل، عندما يكون المسلمون هم الأعلى عددًا بإذن الله، بالعمل والدعوة والتعليم والتربية، بداية بذواتنا، ثم بمن حولنا؛ بأن نكون على قدر المسؤولية وحمل الأمانة، فهذه الأعداد الكبيرة بحاجة لخطاب إسلامي يراعي هذا التنوع في الجغرافيا والتاريخ واللغات والعرقيات والمستويات، كما أن الجموع الجديدة الداخلة في الإسلام بحاجة لما هو معين لهم في إنارة طريقهم الجديد.

ثانيا: المستقبل أيضًا، يفرض تحديات جديدة، ومن ثم نحن بحاجة لبناء العلماء المجتهدين القادرين على معالجة هذه التحديات، في توازن كبير بين الثبات على المسلمات والأصول وبين المرونة في الحركة والعمل، ووضع خطاب يتسم بالعالمية وعبور المحلية، وليس خطابًا لقرية أو مجموعة، فاليوم الذي يقال في زاوية، ولكنه قيل عبر وسيط تقني، فهو خطاب يصل للعالم، ولا بد أن نتزود بفقه حول العولمة الثقافية والإعلامية وأهمية صور العناية بصورة خطابنا الإسلامي، وأن نتنبه لفقه الصحابة رضي الله عنهم، ومن ذلك قول علي رضي الله عنه: (حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكَذَّبَ الله ورسوله؟!)[2]، وقول ابن مسعود رضي الله عنه: (ما أنت بمحدِّث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة)[3]، قال ابن حجر

(١) مستقبل الإسلام، جون إل إسبوزيتو، ص٢٤.

(٢) البخاري، رقم (١٢٧)، باب: من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا.

(٣) مسلم، رقم (١٤)، ١/ ٩، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع.



رحمه الله: (قوله: "بما يعرفون"، أي: يفهمون، وزاد آدم بن أبي إياس في كتاب العلم له عن عبد الله بن داود عن معروف في آخره: "ودعوا ما ينكرون"؛ أي: يشتبه عليهم فهمه، وكذا رواه أبو نعيم في المستخرج، وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يُذكر عند العامة، ومثله قول بن مسعود: ما أنت محدثًا قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة)[1].




وهنا نص معاصر يستحق التوقف معه كثيرًا، للشيخ ابن عثيمين رحمه الله، وسأختار بعض فقراته المهمة حول أثر علي رضي الله عنه: ("حدثوا الناس"، أي: كلموهم بالمواعظ وغير المواعظ. قوله: "بما يعرفون": أي: بما يمكن أن يعرفوه وتبلغه عقولهم؛ حتى لا يفتنوا، ولهذا جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "إنك لن تحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة"، ولهذا كان من الحكمة في الدعوة ألا تباغت الناس بما لا يمكنهم إدراكه، بل تدعوهم رويدًا رويدًا، حتى تستقر عقولهم، وليس معنى "بما يعرفون" أي: بما يعرفونه من قبل؛ لأن الذي يعرفونه من قبل يكون التحديث به من تحصيل الحاصل.

قوله: "أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟!": الاستفهام للإنكار؛ أي: أتريدون إذا حدثتم الناس بما لا يعرفون أن يكذب الله ورسوله؟! لأنك إذا قلت: قال الله وقال رسوله كذا وكذا، قالوا: هذا كذب؛ إذا كانت عقولهم لا تبلغه، وهم لا يكذبون الله ورسوله، ولكن يكذبونك بحديث تنسبه إلى الله ورسوله؛ فيكونون مكذبين لله ورسوله، لا مباشرة ولكن بواسطة الناقل.

فإن قيل: هل ندع الحديث بما لا تبلغه عقول الناس، وإن كانوا محتاجين لذلك؟ أجيب: لا ندعه، ولكن نحدثهم بطريق تبلغه عقولهم، وذلك بأن ننقلهم رويدًا رويدًا؛ حتى يتقبلوا هذا

(١) فتح الباري لابن حجر، ١/ ٢٢٥.



الحديث ويطمئنوا إليه، ولا ندع ما لا تبلغه عقولهم ونقول: هذا شيء مستنكر لا نتكلم به... ويستفاد من هذا الأثر أهمية الحكمة في الدعوة إلى الله عز وجل، وأنه يجب على الداعية أن ينظر في عقول المدعوين، ويُنَزِّلُ كل إنسان منزلته)[١].



وكم يقع بعض الفضلاء في الغلط بسبب نقص الوعي وعدم الفقه في الدين أثناء خطاب الناس! فلا يهتم بنقلهم رويدًا رويدًا، ولا يهتم بكيفية إيصال الحق إليهم، فيقع في أخطاء كثيرة، ومن ثم فلا بد من وعي بالموازنة بين (ماذا) و(كيف).

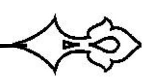
ثالثاً: المستقبل أيضًا، مستقبل فيه كل أحد، فكل الأديان وفرقها، والأفكار ومذاهبها، والأيدلوجيات والأحزاب والقوى المختلفة، كلها معنا، ونحن نعيش بينها، فقد ذهب زمن الاستقلال والخصوصية، وأصبحنا في عالم واحد، فلا بد أن يكون جيل المستقبل مُجهزًا بأدوات الوعي الكافية ليعيش في هذا العالم المختلط، وهذا يعني إعادة النظر في برامجنا الأسرية والتعليمية بما يبني لنا عقولًا وقلوبًا قادرة على العيش في هذه الظروف الجديدة وهي في قمة عطائها؛ كما ينبغي التنبه؛ لئلا ينتج عن ذلك تأثر سلبي بما يحيط بها، ولا بد من فقه حول واقع المسلمين اليوم وغدًا، وبخاصة بعد وجود جماعات كبيرة منهم في مجتمعات كافرة.

هناك اتجاهان في المسلمين، اتجاه يربط مستقبل هذه الأمة بالإسلام، وهو الدين القادر على قيادة الأمة في بحار التقدم الإنساني المذهل، والمشاركة المبدعة فيه دون الوقوع في الفراغ الروحي الكبير الذي عرفته المجتمعات المتقدمة، واتجاه يربط مستقبل هذه الأمة بالتغريب والعلمانية، بحجة كونية هذه العلمنة، وهو اتجاه يقود الأمة في نفس الأزمات التي عاشتها تلك الأمم[٢]؛ فأين دعاة الإسلام والواعون من المسلمين لأهمية مشاركتهم في قيادة العالم بالإسلام، وعدم تركه لمن يسوقه للكارثة؟!

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد، ٢/ ١٩٢-١٩٣.

(٢) ينظر: الإسلام والمستقبل، محمد عمارة، ص٥.






# خاتمة

كانت هذه المباحث ثمرة تأمل طويل وبحث من عمق الهم الدعوي، وأعرف أنها بحاجة لمزيد عناية، ولكن مثل هذه الموضوعات مما يصعب إعطاء القول النهائي فيها، فهي موضوعات بحاجة لكتابات مستمرة في الظهور، ويغمرني أمل أن أكون قد عبرت بوضوح عن أهداف الدراسة وفق منهج أهل السنة، وأسأل الله أن يجعل هذا العمل من العلم الذي ينتفع به ومن خدمة دينه وتبليغ رسالته، والله الموفق.

وهذه أهم النتائج وبعض التوصيات:

- عودة بارزة لمكانة الأديان بعد ما أصابها جرَّاء موجات الإلحاد والعلمنة في القرنين الأخيرين، وهذه العودة تتوازى مع انتشار موجات جديدة من الإلحاد وحاملي لواء العداء للأديان.

- أصبح الإسلام في واجهة الأديان، سواء من جهة الجهود الجبارة الآثمة لتشويهه، أو من جهة الجهود المميزة لحامليه ودعاته، حيث نجحوا في إيصال صوته لمناطق جديدة ومجموعات بشرية مختلفة.

- ينمو الإسلام نموًّا متصاعدًا، سواء داخل المسلمين أنفسهم، أو من المسلمين الجدد، وهو نمو يتشكل في ضوء حصار آثم حوله، وفي ضوء تشويه عالمي له غير مسبوق.

- يُعد الإسلام الدين الأشهر طلبًا وبحثًا من العالم، وأصبح مفكرًا فيه من السياسيين والمثقفين والإعلاميين وعامة الناس، بين مفهومين: مفهوم سيء صنعه أعداؤه، وهو "فوبيا الإسلام"، ومفهوم حسن، ينبع من متانة الإسلام، وهو مفهوم "جاذبية الإسلام".

- تنحصر الأديان في عشرة على الأكثر؛ بخلاف الفرق والمذاهب فهي كثيرة، وفي قمة العشرة عددًا: النصرانية ثم الإسلام، ولكن هناك دراسات تؤكد أن الإسلام خلال سنوات ليست بالكثيرة سيكون هو الدين الأكثر عددا على مستوى العالم.





- التحديات التي تواجه الأديان، ولها أثرها الخاص على الإسلام- كونه الدين الحق- تعود لخمسة تحديات: تحدي الشرك القائم على الميل للحس؛ وهو غالب على عامة البشر، والإلحاد الجديد، والعلمانية؛ والغلو، والجفاء؛ وغالبًا هي تحديات للنخبة المتعلمة والمثقفة.



- واجبات المسلمين كثيرة، ولكن مطلب الوعي يعيد ترتيب الأولويات، وقد أظهر البحث مجموعة من الأولويات المهمة، ومنها: أهمية بناء نموذج إسلامي يقدم للبشرية التي تبحث عن الإسلام، وأهمية بناء منصات للإسلام بكل لغات العالم، ويديرها مجموعات متخصصة قادرة على إيصال رسالة الإسلام ورفع ما يعيق وصوله للباحثين عنه.

وهذه بعض التوصيات والمقترحات، متمنيًا أن تجد من يقدر على تنفيذها:

- إنشاء مراكز متخصصة في دراسة الأديان الحية؛ بداية بوضع خريطة واضحة لها، وبيان مكوناتها، وطرق التعامل معها.

- إنشاء منصات للدعوة إلى الإسلام، تكون قادرة على تقديم خطاب مستوعب لتحديات العصر، وتكون بكل اللغات الممكنة، ويدرب مجموعة قادرة على إدارتها باحتراف؛ على غرار نموذج "ركن الحوار" وما شابهه.

- وضع برامج علمية وتدريبية لبناء متخصصين قادرين على التعامل مع الأديان، ودعوة أهلها للإسلام.

- إنشاء مركز يقوم بإصدار كتاب سنوي عن الأديان في عام، يحوي متابعة سنوية لحركة الأديان في العالم.

- إنشاء مؤسسة إعلامية مهتمة بصناعة محتويات عن دين الإسلام، يكون من خلالها الإسلام متنوعًا في مستوياته، وأسلوبه، فيكون منه ما يقدم للصغار، وللعامة، وللمتعلمين، وللشباب، ويكون منه المقروء والمسموع والمرئي.

- تكوين مجموعة قادرة على أداء وظيفة المجادلة بالتي هي أحسن، يمكنها أداء واجب المجادلة لقيادات الأديان وعلمائها، وفق منهج الإسلام.

**اللهم ثبتنا على الإسلام، واجعلنا ممن يحمل هم هذا الدين، والله أعلم، وهو الموفق سبحانه!**











## المراجـــع:

- الإسلام والفطرة، محمد زكي قاسم، الصفوة، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ.

- الإسلام والمستقبل، د. محمد عمارة، الرشاد، القاهرة، ط٢، ١٤١٨هـ.

- الإسلام: الأخلاق والسياسة، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح، اليونسكو بالتعاون مع مركز الإنماء القومي، باريس-بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠.

- أطلس الأديان، سامي المغلوث، العبيكان، الرياض، طبعة ١٤٢٨هـ.

- الاعتصام، أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي، عناية أبي عبيدة مشهور حسن، الدار الأثرية، الأردن، ط٢، ١٤٢٨هـ.

- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، المعارف، الرياض.

- تاريخ الفلسفة الغربية: الفلسفة الحديثة، برتراند رسل، د.محمد فتحي الشنيطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة ١٩٧٧م.

- اكتشاف وصياغة المستقبل العالمي، باري هجز وإيفان يلبراند، ترجمة د. هند السديري، العبيكان، الرياض، ط٢، ١٤٢٩هـ.

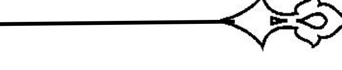
- تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، الشيخ ناصر الدين الألباني، المعارف، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.

- التحرير والتنوير، سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر عاشور، مكتبة المدينة المنورة، دون بيانات أخرى.

- تشكيل العقل الحديث، كرين برينتون، ترجمة شوقي جلال، مراجعة صدقي حطاب، عالم المعرفة (٨٢)، الكويت، طبعة ١٤٠٥-١٩٨٤.

- التعريفات، الشريف علي محمد الجرجاني، الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٠٨-١٩٨٨.







- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، تحقيق: سامي سلامة، طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ.

- تفسير الطبري، للإمام محمد بن جرير الطبري، تحقيق د.عبد الله التركي، عالم الكتب، الرياض، طبعة ١٤٢٤-٢٠٠٣.

- تفسير القران الحكيم - الشهير بتفسير المنار، للإمام محمد رشيد رضا، الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، دون تاريخ.

- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، لأبي عبد الله محمد القرطبي، الكتب المصرية، ط٢، دون بيانات أخرى.

- التفسير الكبير-مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧-١٩٩٧.

- تلبيس إبليس، عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق د. السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١-٢٠٠٠.

- خصائص الإسلام الذي ندعو إليه، د. إسماعيل محمد، دار الكلمة، القاهرة، ط١، ١٤٣٤هـ.

- جاذبية الإسلام الروحية، لماذا أسلم هؤلاء؟، د. أحمد عبد الرحمن، وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ.

- جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، د. شمس الدين الأفغاني، الصميعي، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.



- الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

- دعوة التقريب بين الأديان، د. أحمد القاضي، ابن الجوزي، الرياض.

- الدين- بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، د. محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، ١٤١٠-١٩٩٠.

- زاد المسير، لابن الجوزي، الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٤-١٩٩٤.

- سلسلة الأحاديث الصحيحة، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المعارف، الرياض.

- سنن ابن ماجه، بشرح الإمام أبي الحسن الحنفي السندي، تحقيق الشيخ خليل شيحا، المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٦-١٩٩٦.

- سنن ابن ماجه، دار الفكر، بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

- سنن أبي داود، إعداد عزت عبيد الدعاس، ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨-١٩٩٧.

- سنن الترمذي، تحقيق كمال يوسف الحوت، الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨-١٩٨٧.

- شرح النووي على صحيح مسلم، الإمام محي الدين بن شرف النووي، الفكر، بيروت، دون بيانات أخرى.

- شرح رياض الصالحين، محمد صالح العثيمين، مدار الوطن، الرياض، طبعة ١٤٢٦هـ.

- صحيح البخاري، تحقيق د. مصطفى البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

- صحيح الترغيب والترهيب، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المعارف، الرياض، ط٥.

- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- صناعة الآخر المسلم في الفكر الغربي المعاصر من الاستشراق إلى الإسلاموفوبيا، المبروك الشيباني المنصوري، مركز نماء للبحوث والدراسات، الرياض، ط١، ٢٠١٤.



- عبد الرحمن بدوي ومذهبه الفلسفي، عبدالقادر الغامدي، الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٣٨هـ.

- العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، عبد الوهاب المسيري، الشروق، القاهرة، ط١، ١٤٣٢هـ.

- العلمانية مذهبًا: دراسات نقدية في الأسس والمرتكزات، إشراف علمي محمد سبحاني، مركز الحضارة، بيروت، ط١، ٢٠١٤.

- العلمانية: نشأتها وتطورها وآثارها ، سفر عبد الرحمن الحوالي، السلفية للنشر، الكويت، طبعة ١٤٠٨-١٩٨٧.

- العلمانية: تاريخ الكلمة وصيغتها: أ.د. عبد الصبور شاهين، مقال ملحق ضمن كتاب د. السيد أحمد فرج "جذور العلمانية" ، الوفاء، المنصورة- مصر، ط٤، ١٤١١-١٩٩٠.

- عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبو الطيب محمد ابادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ.

- فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلاني، تحقيق محب الدين الخطيب، رقمه محمد فؤاد عبد الباقي، راجعه قصي محب الدين خطيب، الريان، القاهرة، ط١، ١٤٠٧-١٩٨٦.

- فلسفة الدين: رؤية موجزة لمفهومها واتجاهاتها ومباحثها د. عبد الجبار الرفاعي، مقالة على موقع: مؤمنون بلا حدود.

- الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، د. عبد الوهاب المسيري، دار الفكر، دمشق، ط٤، ١٤٣١هـ.

- فوبيا الإسلام ، ديبا كومار، ترجمة أماني فهمي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٥.










- القاموس المحيط، محمد الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- القبورية في اليمن، أحمد المعلم، دار ابن الجوزي، الرياض، ط٢.

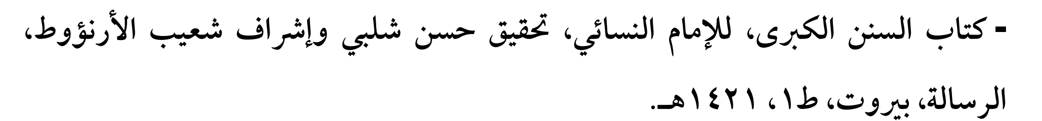
- القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، خادم حسين بخش، الصديق، الطائف، ط٢، ١٤٢١هـ.

- القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، د. عبد الرحمن المحمود، الرياض، ط٢، ١٤١٨هـ.

- القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد صالح العثيمين، ابن الجوزي، السعودية، دون بيانات أخرى.








- كتاب السنن الكبرى، للإمام النسائي، تحقيق حسن شلبي وإشراف شعيب الأرنؤوط، الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ، أبو القاسم محمود الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

- الكلمات والأشياء، ميشيل فوكو، ترجمة مطاع صفدي وآخرين، المركز الإنماء القومي، بيروت، طبعة ١٩٩٠م.

- الكليات لأبى البقاء الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ.

- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، ط١، بيروت.

- ما بعد العلماني: سجال مع هابرماس، خوسيه كازنوفا، ترجمة: طارق عثمان، مركز نماء، الرياض، أوراق نماء (١٤١).

- ما بعد الحداثة، د. باسم خريسان، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ.

- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بين تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن قاسم، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٢-١٩٩١.



- مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، للشيخ محمد العثيمين، جمع وترتيب: فهد السليمان، دار الوطن، الرياض، طبعة ١٤١٣هـ.
- مدخل إلى فلسفة الدين، عثمان الخشت، دار قباء، القاهرة، دون بيانات تاريخ الطباعة.
- مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٩-١٩٨٨.
- مستقبل الإسلام في الغرب والشرق، د. عبد المجيد الشرفي، د. مراد هوفمان، الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٨.
- مستقبل الإسلام، جون إل إسبوزيتو، ترجمة دار النشر للجامعات، القاهرة، ١٤٣٣هـ.
- مسند الإمام أحمد، تحقيق شعيب الأرؤوط وآخرين، إشراف د. عبد الله التركي، الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
- مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر، عبد الرحمن معلا اللويحق، الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٢٠هـ.
- المصطلحات الأربعة في القرآن، أبو الأعلى المودودي، دار القلم، الكويت، ط٥، ١٣٩١هـ.
- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، د.جميل صليبا، الكتاب اللبناني، بيروت، طبعة ١٩٨٢.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الشروق، القاهرة، ط٤، ١٤٢٥هـ.
- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٣٩٩هـ.
- مفهوم الفطرة بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي، عبد الله البيشي، بحث ماجستير مقدم لقسم التربية الإسلامية بكلية التربية بجامعة أمر القرى، سنة ١٤١٦هـ.



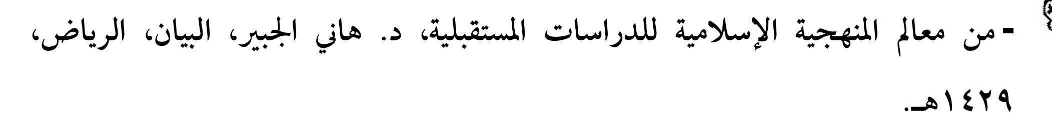


- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن محمد بن خلدون، تحقيق د.على عبد الواحد وافي، نهضة مصر، القاهرة، دون بيانات أخرى.

- المقدمة في فلسفة الدين، أديب صعب، النهار، بيروت، طبعة ١٩٩٤.

- الملل والنحل، محمد الشهرستاني، تحقيق محمد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، طبعة ١٤٠٤هـ.

- مليشيا الإلحاد: مدخل جديد لفهم الإلحاد، عبد الله العجيري، تكوين، لندن، ط٢، ١٤٣٥هـ.



- من معالم المنهجية الإسلامية للدراسات المستقبلية، د. هاني الجبير، البيان، الرياض، ١٤٢٩هـ.

- وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق، جمال بن أحمد بشير بادي، الوطن، الرياض، ١٤١٢.

- وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، د. محمد الزحيلي، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ١٤٠١هـ.

- الوعي الحضاري: مقاربات مقاصدية لفقه العمران الإسلامي، د. مسفر القحطاني، الشبكة العربية، بيروت، ط٢، ٢٠١٣.

- دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود الخلف، أضواء السلف، الرياض، ط٤، ١٤٢٥هـ

- استراتيجيات غربية لاحتواء الإسلام: قراءة في تقرير راند ٢٠٠٧، د. باسم خفاجي، المركز العربي للدراسات الإنسانية، عدد ٤، ١٤٢٨هـ

- صدام الحضارات محاولة للفهم، د. عبد الرزاق مقري، دار الكلمة، المنصورة، ط١، ١٤٢٥هـ

- صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي، صامويل هنتنجتون، ترجمة طلعت الشايب، تقديم د. صلاح قنصوة، ط٢، ١٩٩٩.



- هوبس: فلسفة، علم، دين؛ بيير فرانسوا، ترجمة أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

- فلسفة الدين من منظور إسلامي، د. أبو يعرب المرزوقي.

- مدخل إلى فلسفة الدين، نقله من الألمانية من الموسوعة الفلسفية التي أشرف على إعدادها "هانس صاند كولر": فتحي المسكيني، مجلة ألباب، العدد الثالث، ص٨١، صيف ٢٠١٤، عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود، الرباط.

- دراسة نقدية في فلسفة الدين، أديب صعب، دار النهار، بيروت، ط١، ٢٠١٥م.

- الغيب والعقل: دراسة في حدود المعرفة البشرية، إلياس بلكا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، أمريكا، ط١، ١٤٢٩هـ.

- علم الغيب بين الوحي والقلب، د. يحيى مراد، دون بيانات بالدار والطبعة.

- دين الإنسان: بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، فراس السوح، علاء الدين، دمشق، ط٤، ٢٠٠٢م.

- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي، تحقيق مصطفى العلوي ومحمد البكري، وزارة الأوقاف المغربية، سنة ١٣٨٧هـ.

- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد القرطبي، أشرف على تحقيقه د. عبد الله التركي، الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ.

- موسوعة الأديان الحية (ج١): أديان النبوات، الأديان السماوية، تحرير: زينر، ترجمة عبد الرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

- موسوعة الأديان الحية (ج٢): الأديان غير السماوية (أديان الحكمة)، تحرير: زينر، ترجمة عبد الرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

- الأديان الحية: نشأتها وتطورها، أديب صعب، النهار، بيروت، ط٣، ٢٠٠٥م.





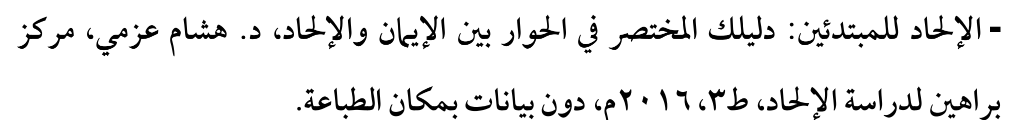




- علم الأديان: مساهمة في التأسيس، ميشال مسلان، ترجمة عز الدين عناية، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط١، ١٤٣٠هـ.

- علم الأديان وبنية الفكر الإسلامي، المسترق جيب ود. عادل العوا، عويدات، بيروت وباريس، ط١، ١٩٧٧م.

- علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام، د. إبراهيم تركي، الوفاء، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٢م.



- الإلحاد للمبتدئين: دليلك المختصر في الحوار بين الإيمان والإلحاد، د. هشام عزمي، مركز براهين لدراسة الإلحاد، ط٣، ٢٠١٦م، دون بيانات بمكان الطباعة.

- نقد العقل الإسلامي عند محمد أركون، د. مختار الفجاري، الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

- فلسفة الدين: مقول المقدس بين الأيدلوجيا واليوتوبيا وسؤال التعددية، مجموعة مؤلفين، إشراف وتحرير: د. علي المحمداوي، منشورات ضفاف والاختلاف، بيروت والجزائر، ط١، ١٤٣٣هـ.

- الصراع الديني في إسرائيل بين العلمانيين والأصوليين، د. أحمد عبد الخالق، آمنة، عمان، دون بيانات أخرى.

- حول الاستشراق الجديد: مقدمات أولية، عبد الله الوهيبي، البيان، الرياض، ط١، ١٤٣٥هـ.

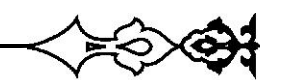
- أزمة الإسلام: الحرب الأقدس والإرهاب المدنس رؤية المحافظين الجدد واليمين الأمريكي للإسلام المعاصر، برنارد لويس، ترجمة حازم محسن، دار عدنان، بغداد، ط١، ٢٠١٣م.

- الحرب على الإسلام، آرشي أوغوستاين، ترجمة محمد الشماع، صفحات، دمشق، طبعة ٢٠١١م.



- ينظر موجز الأديان في القرآن، د. عبد الكريم زيدان، الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
- الإسلام: الدين الثاني في أوروبا (المشهد الاجتماعي والثقافي والسياسي الجديد)، نخبة من الباحثين وتحرير شيرين تي هنتر، ترجمة أحمد الشيمي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٦م.
- نهاية التاريخ وخاتم البشر، فرانسيس فوكوياما، ترجمة حسين أمين، مركز الأهرام، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ.
- صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، صموئيل هنتنغتون، ترجمة د. مالك عبيد و د.محمود خلف، الدار الجماهيرية، مصراته، ط١، ١٤٢٩هـ.
- مدخل لدراسة الأديان، د. عبد الله سمك، دار الدراسات العلمية، مكة، دون بيانات التاريخ والطبعة.
- زمن هنتغتن، صدام الحضارات ونهاية التاريخ، د. محمد العربي عزوز، دار النهضة العربية، ط١، ٢٠٠٩م.
- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، أبو الريحان محمد البيروني، دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن، الهند، ١٣٧٧هـ.
- الفلسفة المعاصرة في أوروبا، إ.م. بوشنسكي، ترجمة د. عزت قرني، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، رقم (١٦٥)، طبعة ١٩٩٢م.
- تكوين العقل الحديث، جون هرمان راندال، ترجمة د. جورج طعمة، تقديم د. محمد هيكل، دار الثقافة، بيروت، دون بيانات الطبعة.
- الإلحاد للمبتدئين: دليلك المختصر في الحوار بين الإيمان والإلحاد، د. هشامي عزمي، مركز براهين للدراسات والأبحاث، دون بيانات أخرى.








- وهم الإلحاد، د. عمرو الشريف، تقديم د. محمد عمارة، هدية مع مجلة الأزهر، عدد ١٤٣٥هـ.

- مليشيا الإلحاد: مدخل لفهم الإلحاد الجديد، عبد الله العجيري، تكوين، لندن، ط٢، ١٤٣٥هـ.

- الأصوليات المعاصرة: أسبابها ومظاهرها، روجيه جارودي، ترجمة خليل أحمد، دار عام أفين، باريس، طبعة ٢٠٠٠م.

- الإسلام والإعلاموفوبيا: الإعلام الغربي والإسلام تشويه وتخويف، د. المحجوب سعيد، الفكر، دمشق، ط١، ١٤٣٤هـ.

- الأديان في القرآن، محمود بن الشريف، عكاظ، جدة، ط٥، ١٤٠٤هـ.

- تاريخ الشك، جينيفر مايكل هيكت، ترجمة عماد شحاته، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م.

- صورة الإسلاميين على الشاشة، أحمد سالم، نماء، بيروت، ط١، ٢٠١٤م.

- اقتضاء الصراط المستقيم، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق ناصر العقل، عالم الكتب، بيروت، ط٧، ١٤١٩هـ.

- حوارات مع الدكتور عبد الوهاب المسيري، العلمانية والحداثة والعولمة، تحرير سوزان حرفي، دار الفكر، دمشق، ط٥، ١٤٣٦هـ.

- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م.